رسائل سلفية

٥

دفع شبه التشبيه

بأكف التنزيه

للامام أبي الفرج بن الجوزي

٥٠٨ - ٥٩٧ هـ

بعناية

طارق السعود

دار الهجرة

بيروت

رسائل سلفية

(٥)

دفع شبه التشبيه

بأكف التنزيه

للإمام أبي الفرج بن الجوزي

٥٠٨ - ٥٩٧ هـ

بعناية

طارق السعود



الطبعة الثانية

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م



دمشق - جادة ابن سينا هاتف ٢٢٤٧٢٧ - ص.ب. ٥٢٩٩
بيروت - الرملة البيضاء - مطبعة نعمة - هاتف ٨٠٢٢٤٦

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترجمة المؤلف:

١ ـ اسمه ونسبه: عبد الرحمٰن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد ابن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم ابن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدِّيق، القرشي، التميمي، البكري، البغدادي، الحنبلي، الواعظ، الحافظ، المؤرّخ المفسِّر[١].

وكنيته أبو الفرج. ولقبه جمال الدين.

وعُرف بابن الجوزي نسبة إلى جدّه الأكبر جعفر «الجوزي»، وسمِّي جدّه بـ«الجوزي» نسبة إلى مشرّعة الجوز، أو إلى فرضة فيها يقال لها جوزة. ويقال: إن جوزة

١ ـ ابن الدبيثي، التاريخ ٢ ق/١٢٢، سبط ابن الجوزي، المرآة ٨١/٨، ابن الساعي، الجامع المختصر ٦٥/٩، ابن الفرات، التاريخ ٤٠ جـ ٢١٠/٢.

هي محلة أو فرضة في البصرة[٢]. ويقال: إن جوزة فرضة على شاطىء دجلة قريباً من بغداد[٣].

وقيل: بل نسبَه يرجع إلى «جوزة» كانت في داره بواسط لم يكن بواسط جوزة غيرها، وتوارث أبناؤه من بعده هذا اللقب[٤].

وأشار المنذري إلى أن أبا الحسين أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي وغيره منسوبون إلى بيع الجوز[٥].

٢ ـ ولادته: ولد ابن الجوزي بدرب حبيب في بغداد سنة ٥١٠ هـ تقريباً[٦]، وذكر سبطه أنه سأل جدّه عن تاريخ مولده فقال:

ما أحقّقه. ولكن في سنة عشر وخمس مئة تقريباً[٧].

وجعل ابن خلكان سنة ولادته ٥٠٨ هـ تقريباً، ثم قال: وقيل عشر وخمسمائة[٨]. وأرجح أن رواية سبطه أقرب إلى الحقيقة، لأنه أقرب الناس إليه، وأقدم من ذكر مولده. وقد أشار سبطه إلى سني عمر جدّه حين تيتّم. وقال: إنها كانت

---

٢ ـ مرآة الزمان ٨/٤٨١، وشذرات الذهب ٤/٣٣٠.
٣ ـ وفيات الأعيان ٣/١٤٢.
٤ ـ الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٠١.
٥ ـ التكملة لوفيات النقلة ٢/٢٩٣.
٦ ـ مرآة الزمان ٨/٤٨١.
٧ ـ مرآة الزمان ٨/٤٨٣، وشذرات الذهب ٤/٣٢٩.
٨ ـ وفيات الأعيان ٣/١٤٢.

ثلاثاً[٩]، وذكر في موضع آخر: أن والد جدّه توفي سنة ٥١٤ هـ. فأصبح من الأرجح أن تكون ولادة ابن الجوزي في آخر سنة ٥١٠ هـ.

٣ ـ نشأته وصفاته: تشير المصادر إلى أن ابن الجوزي نشأ يتيماً على العفاف والصلاح، لأن والده توفي وهو صغير، فكفلته أُمه[١٠] وعمته، وأخذت بيده عمّته، واعتنت به منذ الطفولة، ولما ترعرع حملته إلى مسجد أبي الفضل بن ناصر فاعتنىٰ به وأسمعه الحديث[١١].

وأشار ابن النجار البغدادي إلى أن عمّه أبا البركات حمله إلى الحافظ أبي الفضل بن ناصر، وسأله أن يُسمعه الحديث فأسمعه[١٢].

ونال ابن الجوزي حظاً عظيماً، ومستقبلاً باهراً رغم أنه عاش يتيماً فقد هيأ الله له النشأة الزكيّة والاتجاه القويم. وحبَّب إليه العلم بفنونه المختلفة منذ الصغر[١٣].

وأما سرّ نجاح ابن الجوزي فيكمن في قوة بديهته، وسرعة بادرته، وحضور ذهنه ونوادر أجوبته، مع كثرة محفوظه وسعة روايته[١٤].

---

٩ ـ مرآة الزمان ٨/٤٨١.
١٠ ـ الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٠٠.
١١ ـ الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٠١.
١٢ ـ الدمياطي (المستفاد) ق/٤٦.
١٣ ـ مقدمة ذمّ الهوى ٥.
١٤ ـ مقدمة صيد الخاطر ١٦.

وتحدّث ابن الجوزي عن نفسه فقال: (فأقول عن نفسي، وما يلزمني حال غيري، إنني رجل حبّب إليَّ العلم من زمن الطفولة فتشاغلت به، ثم لم يحبّب إليَّ فن واحد منه، بل فنونه، ثم لا تقتصر همّتي في فن على بعضه، بل أروم استقصاءه والزمان لا يسع، والعمر أضيق، والشوق يقوىٰ والعجز يقعد، فيبقى وقوف بعض المطلوبات حسرات)[١٥].

ويفهم من هذا أن ابن الجوزي أُولع منذ الصغر بالعلم، وأولاه اهتمامه، رغم أن أهله كانوا تجّاراً ولم يشتغل بالعلم أحد منهم. وساعدته ظروف عصره على الاهتمام بالعلم، إذ كانت الصبغة الغالبة في الحياة العامة في بغداد، الالتفات إلى العلوم. وبخاصة تلك التي لها علاقة بالقرآن والحديث، مما جعله يتلقى علومه على يد كثير من الشيوخ، ويحظى بثقافة إسلامية واسعة. وتلقى ابن الجوزي علومه حين بلغ العاشرة من عمره، وأخذ يتلقى دروسه على يد أبي القاسم العلوي.

ويروىٰ أن ابن الجوزي، وهو في ذلك العمر ألقى عظة أمام جمع غفير في جامع بغداد، كان أُستاذه هذا علّمه إياها[١٦]. ودرس على يد خاله الشيخ أبي الفضل محمد بن ناصر، إذ اعتنىٰ به، وأسمعه الحديث، وظلَّ يدرس عليه أكثر من ثلاثين سنة، وزعم أنه استفاد من خاله أكثر مما استفاد من أيّ شيخ آخر[١٧]. وأبرز مَن تلقى على يده العلم هو الشيخ

١٥ ـ صيد الخاطر ٦٢.

١٦ ـ الذيل على طبقات الحنابلة ١/٤٠٢.

١٧ ـ مرآة الزمان ٨/٤٨١.

علي بن عبيد الله الزاغوني، وروى عنه كثيراً في كتبه ومنها كتاب «نزهة الأعين»، وصحبه زماناً، وسمع منه الحديث والوعظ والفقه. وأخذ الفقه عن أبي بكر الدينوري الحنبلي وتلقى دروساً في اللغة والأدب على يد أبي منصور الجواليقي، وسمع الحديث من أبي الحسين علي بن عبد الواحد الدينوري، والبارع أبي عبد الله الدباس وخلق غير هؤلاء وجمع لنفسه مشيخة ذكر فيها شيوخه وأحوالهم، وروىٰ فيها عن كل واحد حديثاً. وبورك له في علمه وسنّته[١٨].

وخلال سني عمره المديد تلقىٰ ابن الجوزي علومه، ودرسها على أكثر من ثمانين شيخاً وشيخة تناولتها بالبحث المستفيض محققة كتاب «المصباح المضيء في خلافة المستضيء»[١٩] فأَغْنَتْني عن التكرار.

وعاش ابن الجوزي زاهداً في الدنيا متقللاً منها، وما مازح أحداً قطُّ، ولا لعب مع صبي، ولا أكل من جهة إلا تيقن[٢٠] حلّها، وكان ينتقد الفقهاء الذين يأخذون أجراً على فقههم. وكان يشيد في كتبه بالأمانة، والصدق، والعفّة، وكانت ديانته الحقّة وإخلاصه لعقيدته سبباً لتوبة الكثيرين على يديه.

٤ ـ **وفاته**: لبّىٰ الشيخ ابن الجوزي نداء ربه الكريم في

---

١٨ ـ التاريخ لابن الدبيثي ق/١٢٢.
١٩ ـ المصباح المضيء ط ١/٦٢.
٢٠ ـ شذرات الذهب ٤/٣٣٠.

ليلة الجمعة بعد صلاة المغرب، الثاني عشر من شهر رمضان المعظّم سنة سبع وتسعين وخمسمائة بالجانب الغربي من مدينة السلام في دار له قريبة من قبر معروف الكرخي بمحلة قطفتا. وأجمعت المصادر على أن يوم وفاته كان يوماً مشهوداً ببغداد، إذ نودي بالصلاة عليه في جانبي بغداد يوم الجمعة فحضر خلق كثير من الفقهاء والعلماء، والأكابر عند جنازته. وتقدم في الصلاة عليه ولده الأسنّ أبو القاسم علي، وحمل جنازته الناس إلى جامع المنصور فَصُلِّيَ عليه مرة ثانية، ثم حمل إلى مقبرة باب حرب فدفن هناك، وتبع جنازته خلق كثير[٢١].

٥ ـ علمه: إن هذه المنزلة الرفيعة التي حظي بها ابن الجوزي، لا بدّ أن تكون متأتية من مكانة علمية تميز بها، جعلته ينال هذه الرفعة والمجد. وما الأعداد الضخمة من الكتب التي ألّفها. وما تركته هذه الكتب من آثار علمية، وثقافية على مَن جاء بعده. إلاّ دليلاً يبيِّن لنا مكانته العلمية الحقَّة. وتشير المصادر إلى أن مكانة ابن الجوزي فاقت الجميع لما أُوتي من قوة العارضة، وحُسْن التصرّف في فنون القول وشدة التأثير في الناس[٢٢].

وكتب ابن الجوزي بخط يده آلاف الصفحات، ووضع من الكتب ما يزيد على ثلاث مئة كتاب كتبها كلها بخط

---

٢١ ـ التاريخ لابن الدبيثي /٣٢٣، والتكملة لوفيات النقلة ٢/٢٩١.
٢٢ ـ ممقدمة صيد الخاطر ١٠.

يده[٢٣]. وكان جمع ووضع تصانيفه في فنون كثيرة، ومختلفة مثل علوم القرآن، والحديث والوعظ والتاريخ، وغيرها كثير. وخلال عمره المديد سمع الناس منه زيادة على أربعين سنة. وكانت لمجالسه أثر في نفوس الناس. وكان الخليفة المستضيء يطلبه ويأمره بعقد مجالس الوعظ، ويجلس بحيث يسمع ويرى[٢٤]. وكتب ابن جُبير الرحّالة الأندلسي أروع ما كتب عن وصف مجالس ابن الجوزي ولم يصف مجالسه أحد كما فعل ابن جُبير. فقد قام برحلته إلى المشرق، وحجَّ، وزار الأماكن المقدسة ومرَّ ببغداد، وحضر بعض مجالسها. ومنها مجالس ابن الجوزي في عهد الخليفة الناصر بن المستضيء، وذلك سنة ٥٨٠ هـ. ومع أنه لم يرضَ عن أهل بغداد، بل ذمّهم فإنه استثنىٰ فقهاءها المحدِّثين[٢٥]. ووصف بعض هذه المجالس منها مجالس ابن الجوزي[٢٦]. وقال سبطه نقلاً عنه يقول: كتبت بأصبعي ألف مجلدة، وتاب علىٰ يدي مئة ألف، وأسلم على يدي ألف يهودي ونصراني[٢٧].

ونتعرف من هنا المكانة والشهرة التي بلغها ابن الجوزي نتيجة لقوة إيمانه، وصفاء سريرته، وغزارة علمه، واستعداده الكبير في الدعوة إلى الله تعالىٰ.

---

٢٣ ـ انظر مقدمة المصباح المضيء.

٢٤ ـ شذرات الذهب ٤/ ٢٥٠.

٢٥ ـ مقدمة فضل القدس ٣٠.

٢٦ ـ رحلة ابن جبير ١٩٩ ـ ٢٠٣.

٢٧ ـ مرآة الزمان ٤٨٢/٨، الذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٤١٠.

قال الشيخ الإمام الحافظ العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الصديقي البكري:

اعلم وفقك الله تعالى إنني لما تتبعت مذهب الإمام أحمد رحمه الله تعالى رأيت الرجل كبير القدر في العلوم، قد بالغ في النظر في علوم الفقه ومذاهب القدماء حتى لا تأتي مسألة إلا وله فيها نص أو تنبيه، لكنه على طريق السلف فلم يصنف إلا المنقول، فرأيت مذهبه خالياً من التصانيف التي كثر جنسها عند الخصوم، فصنفت تفاسير مطولة: منها.

المغني مجلدات[١] وزاد المسير[٢] وتذكرة الأريب[٣] وغير ذلك.

---

(١) هو كتاب المغني في تفسير القرآن ذكره ابن رجب البغدادي بعنوان (كتاب المغني في التفسير وقال أنه (٨١) جزءاً.

(٢) زاد المسير في علم التفسير ذكره ابن خلكان.

(٣) هو كتاب تذكرة الأريب في شرح الغريب ذكره سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان.

وفي الحديث كتباً: منها المسانيد والحداائق[1] ونفى[2] النقل.

وكتباً كثيرة في الجرح والتعديل؛ وما رأيت لهم تعليقة في الخلاف، إلا أن القاضي [أبا يعلى قال: كنت أقول ما لأهل المذاهب يذكرون الخلاف مع خصومهم ولا يذكرون أحمد[3] ثم عذرتهم إذ ليس ....

(١) الحدائق لأهل الحقائق ذكره ابن رجب وقال أنه أربعة وثلاثون جزءاً وذكره إسماعيل البغدادي في هدية العارفين والزركلي في الأعلام.

(٢) اسم الكتاب (نفي النقل) ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام أما إسماعيل البغدادي في هدية العارفين فقد ذكره بعنوان (نفس النقل في الحديث).

(٣) كان الإمام أحمد رضي الله عنه لزم الإمام أبا يوسف في بدء أمره كما حكى ذلك عنه يحيى بن معين حيث يقول في كتابه (معرفة التاريخ. والعلل): رواية أبي العباس الأصم عن أبي الفضل العباس بن محمد الدوري عنه: سمعت أحمد بن حنبل يقول اختلفت إلى أبي يوسف ثم اختلفت إلى الناس بعده أحد. وكان يشتغل بكتب محمد بن الحسن ويستفيد منها أجوبة دقيقة على ما رواه الخطيب بإسناده إلى الحربي عنه وصحب كثيراً من فقهاء العراق وجالس الشافعي في قدمته الثانية ببغداد بعد وفاة محمد فصار له من الفقه حظ وافي. ومع هذا كله كان الغالب عليه وعلى أصحابه رواية الحديث ولم يكن يجري على طريقة الفقهاء في التفريع والتأصيل وتبيين مناط الأحكام والتعليل، حتى قلت انفراداته في الفروع عمن تقدمه من الفقهاء، فإن خالف الشافعي مثلاً في شيء من قوله الجديد تراه يوافق فيه أبا حنيفة أو أحد أصحابه أو مالكاً رضي الله =

لنا تعليقه[1] في الفقه قال فصنفت لهم تعليقة].

قلت وتعليقته لم يحقق فيها بيان الصحة والطعن في المردود وذكر فيها أقيسة طردية.

ورأيت من يلقي الدرس من أصحابنا يفزع إلى تعليقة الاصطلام أو تعليقة أسعد أو تعليقة العاملي أو تعليقة الشريف ويستعير منها استعارات فصنفت لهم تعاليق: منها كتاب «الإنصاف في مسائل الخلاف» ومنها «جنة

= عنهم، فكان يستغني أصحاب كتب الخلاف عن ذكر أقوال أحمد بذكر خلاف من تقدمه من الفقهاء. ولم يذع تدوين أقواله مع أقوال بقية الفقهاء في كتب الخلاف إلا في عهد ابن هبيرة الوزير فإنه لما ألف (افصاحه) وخص من بين مجلداته مجلداً ضخماً باختلاف الأئمة الأربعة واعتنى به عناية تامة وسعى في نشره بصرف مبالغ طائلة أخذ من يكتب في الخلاف يذكر أقوال أحمد مع أقوال غيره من الأئمة. وكان ابن جرير أدركه سناً وأدرك أصحابه لقاء ومع ذلك لم يذكر أقواله فيما كتبه في اختلاف الفقهاء مع ذكره من هو على شاكلة أبي بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم، فسأله الحنابلة عن ذلك فقال ما معناه: لم يكن أحمد من الفقهاء وإنما كان من أهل الحديث.

وما كنت لقيته حتى آخذ منه ولا لقيت أصحاباً له يحق أن يؤخذ منهم فثارت ثائرة الحنابلة عليه وجرى ما ينقله ياقوت في معجم الأدباء وابن الأثير في كامله.

(١) التعليقة: رسالة صغيرة تكون رداً لمعالجة مسألة فقهية أو دينية.

النظر وجنة الفطر» ومنها «عمـدة الدلائـل في مشهور المسائل».

ثم رأيت جمع أحاديث التعليق التي يحتج بها أهل المذاهب وبينت تصحيح الصحيح وطعن المطعون فيه وعملت كتاباً في المذهب أدخلتها فيه وسميته «البازي الأشهب المنقض على مخالفي المذهب» وصنفت في الفروع: كتاب «المذهب في المذهب» وكتاب «مسبوك الذهب» وكتاب «البلغة» وفي أصول الدين كتاب «منهاج الوصول إلى علم الأصول».

وقد بلغت مصنفاتي مائتي مصنف وخمسين مصنفاً (*).

ورأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح.

وانتدب للتصنيف ثلاثـة: أبو عبـد الله بن حامـد(١)

(*) ذكر الباحث عبد الحميد العلوجي في كتابه (مؤلفات ابن الجوزي) أن مؤلفاتـه تزيد عن (٤٠٠) مؤلف ذكرها الباحث مرتبة حسب حروف المعجم.

(١) هو شيخ الحنابلة أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي البغدادي الوارق المتوفى سنة ثلاث وأربعمائة، كان من أكبر مصنفيهم، له شرح أصول الدين، فيه طامات سيورد المصنف بعضها ولديه تخرج القاضي أبو يعلى الحنبلي.

وصاحبه القاضي (أبو يعلى)[1] ابن الزاغوني[2] فصنفوا كتباً شانوا بها المذهب، ورأيتهم قد نزلوا مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحسن فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه الصلاة والسلام على صورته فأثبتوا له صورة.

ووجهاً زائداً على الذات وعينين وفماً ولهوات وأضراساً وأضواء لوجهه هي السبحات ويدين وأصابع وكفاً وخنصراً وإبهاماً وصدراً وفخذاً وساقين ورجلين، وقالوا ما سمعنا بذكر الرأس، وقالوا يجوز أن يمس ويمس ويدني العبد من ذاته، وقال بعضهم: ويتنفس، ثم

---

(١) هو القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء الحنبلي المتوفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وفيه يقول أبو محمد التميمي ما معناه: لقد شادة أبو يعلى الحنابلة شيناً لا يغسله ماء البحار، على ما نقله ابن الأثير وأبو الفداء. وعزا في طبقاته إلى الإمام أحمد ما يبعد أن يصح عنه كل البعد. ونقل ابن بدران الدشتي في جزء إثبات الحد عن كتاب الأصول لأبي يعلى هذا ما هو أفظع مما سينقله المصنف عنه في التشبيه على تضارب في أقواله بين تنزيه وتشبيه. ولا يخفى على الناظر أنه غير الحافظ أبي يعلى أحمد بن علي الموصلي صاحب المسند ورواي كتب أبي يوسف عن بشر بن الوليد.

(٢) هو أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الزاغوني الحنبلي المتوفى سنة سبع وعشرين وخمسمائة وهو من مشايخ المصنف وله في كتاب الإيضاح من غرائب التشبيه ما يحار فيه النبيه.

أنهم يرضون العوام بقولهم لا كما يعقل.

وقد اخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى ولا إلى إلغاء ما توجبه الظواهر من سمات الحدث.

ولم يقنعوا بأن يقولوا «صفة فعل» حتى قالوا «صفة ذات»، ثم لما أثبتوا أنها صفات قالوا لا نحملها على توجيه اللغة مثل «يد» على نعمة وقدرة ولا «مجيء وإتيان» على معنى بر ولطف ولا «ساق» على شدة.

بل قالوا نحملها على ظواهرها المتعارفة، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين والشيء إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن فإن صرف حمل على المجاز، ثم يتحرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ويقولون نحن أهل السنة.

وكلاهم صريح في التشبيه، وقد تبعهم خلق من العوام. وقد نصحت التابع والمتبوع، فقلت لهم: يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل واتباع وإمامكم الأكبر أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى يقول هو تحت السياط كيف أقول ما لم يقل[1].

---

(١) وسئل الإمام أحمد عن أحاديث النزول والرؤية ووضع القدم=

فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه.

ثم فلم في الأحاديث تحمل على ظاهرها، فظاهر القدم الجارحة، فإنه لما قيل في عيسى عليه الصلاة والسلام (روح الله) اعتقدت النصارى لعنهم الله تعالى أن لله سبحانه وتعالى صفة هي روح ولجت في مريم. ومن قال استوى بذاته المقدسة فقد أجراه سبحانه وتعالى مجرى الحسيات وينبغي أن لا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل فإنا به عرشاً لله تعالى وحكمنا له بالقدم فلو أنكم قلتم نقرأ الأحاديث ونسكت لما أنكر أحد عليكم، إنما

= ونحوها قال: (نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى)، وقال أيضاً يوم سألوه عن الاستواء: (استوى على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف) على ما ذكره الخلال في السنة بسنده إلى حنبل عن عمه الإمام أحمد. وهذا تفويض وتنزيه كما هو مذهب السلف، وربما أول في بعض المواضع كما حكى حنبل أيضاً عن الإمام أحمد أنه سمعه يقول: احتجوا عليَّ يوم المناظرة فقالوا: تجيء يوم القيامة سورة البقرة وتجيء سورة تبارك قال فقلت لهم: إنما هو الثواب قال الله جل ذكره ﴿ **وجاء ربك والملك صفاً صفاً** ﴾ وإنما تأتي قدرته. وقال ابن حزم الظاهري في (فصله) وقد روينا عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال: «وجاء ربك» إنما معناه: وجاء أمر ربك اهـ. وهذا تأويل وتنزيه كما هو مذهب الخلف، وأما ما ينقل عن الإمام أحمد مما يخالف ما تقدم فهو تخرص صديق جاهل وسوء فهم لمذهب هذا الإمام.

حملكم إياها على الظاهر قبيح[1] فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس منه فلقد كسيتم هذا المذهب شيناً قبيحاً، حتى صار لا يقال عن حنبلي إلا مجسم، ثم زينتم مذهبكم أيضاً بالعصبية ليزيد بن معاوية وقد علمتم أن صاحب المذهب أجاز لعنته وقد كان أبو محمد التميمي يقول في بعض أئمتكم لقد شان المذهب شيناً قبيحاً لا يغسل إلى يوم القيامة.

* * *

فصل: وقد وقع غلط المصنفين الذين ذكرتهم في سبعة أوجه:

أولها أنهم سموا الأخبار أخبار صفات وإنما هي

---

(١) يقول العلامة الشيخ محمد عبده رحمه الله فيما كتبه على العضدية عند الكلام على حديث افتراق الأمة فإن قلت أن كلام الله وكلام النبي ﷺ مؤلف في الألفاظ العربية ومدلولاتها معلومة لدى أهل اللغة فيجب الأخذ بحاق مدلول اللفظ كان ما كان قلت حينئذ لم يكن ناجياً إلا طائفة المجسمة الظاهريون القائلون بوجوب الأخذ بجميع النصوص وترك طريق الاستدلال رأساً مع أنه لا يخفى ما في آراء هذه الطائفة من الاختلال مع سلوكهم طريقاً ليس يفيد اليقين بوجه فإن للتخاطبات مناسبات ترد بمطابقتها فلا سبيل إلا إلى الاستدلال وتأويل ما يبدي بظاهره نقصاً إلى ما يفيد الكمال، وإذا صح التأويل للبرهان في شيء صح في بقية الأشياء حيث لا فرق بين برهان وبرهان ولا لفظ ولفظ.

إضافات وليس كل مضاف صفة فإنه قال تعالى ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾[1] وليس لله صفة تسمى روحاً فقد ابتدع من سمى المضاف صفة.

والثاني أنهم قالوا هذه الأحاديث من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى: ثم قالوا نحملها على ظواهرها.

فوا عجباً ما لا يعلمه إلا الله تعالى أي ظاهر له؟ وهل ظاهر الاستواء إلا القعود وظاهر النزول إلا الانتقال!

والثالث أنهم أثبتوا لله سبحانه وتعالى صفات وصفات الحق جل جلاله لا تثبت إلا بما تثبت به الذات من الأدلة القطعية.

والرابع أنهم لم يفرقوا في الإثبات بين خبر مشهور كقوله ﷺ: «ينزل تعالى إلى السماء الدنيا» وبين حديث لا يصح كقوله: «ورأيت ربي في أحسن صورة» بل أثبتوا بهذا صفة وبهذا صفة.

والخامس أنهم لم يفرقوا بين حديث مرفوع إلى النبي ﷺ وبين حديث موقوف على صحابي أو تابعي فأثبتوا بهذا ما أثبتوا بهذا.

والسادس: أنهم تأولوا بعض الألفاظ في موضع ولم

---

(١) الحجر: الآية ٢٩؛ صٓ: الآية ٧٢.

يتأولوها في موضع كقوله: «ومن أتاني يمشي أتيته هرولة» قالوا ضرب مثلاً للإنعام.

والسابع أنهم حملوا الأحاديث على مقتضى الحس فقالوا: ينزل بذاته وينتقل ويتحول، ثم قالوا لا كما نعقل فغالطوا من يسمع وكابروا الحس والعقل فحملوا الأحاديث على الحسيات.

فرأيت الرد عليهم لازماً لئلا ينسب الإمام أحمد رحمه الله إلى ذلك وإذا سكت نسبت إلى اعتقادي ذلك ولا يهولني أمر يعظم في النفوس لأن العمل على الدليل وخصوصاً في معرفة الحق تعالى لا يجوز فيها التقليد. وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عن مسألة فأفتى فيها فقيل: هذا لا يقول به ابن المبارك فقال: ابن المبارك لم ينزل من السماء. وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: استخرت الله تعالى في الرد على الإمام مالك رحمه الله.

ولما صنف هؤلاء الثلاثة كتباً وانفرد القاضي (أبو يعلى) فصنف الأحاديث ذكرتها على ترتيبه وقدمت عليها الآيات الشريفة التي وردت في ذلك.

* * *

بـــاب
ما جاء في القرآن العظيم من ذلك

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[1] قال المفسـرون: يبقى ربك، وكذا قالوا في قوله تعالى: ﴿ **يريدون وجهه** ﴾ أي يريدونه، وقال الضحاك وأبـو عبيدة ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[2] أي إلا هو، وقد ذهب الذين أنكرنا عليهم إلى أن الوجه صفة يختص باسم زائد على الذات، فمن أين قالوا هذا وليس لهم دليل إلا ما عرفوه من الحسيات وذلك يوجب التبعيض ولو كان كما قالوا كان المعنى أن ذاته تهلك إلا وجهه، وقال ابن حامد أثبتنا لله تعالى وجهاً ولا يجوز إثبات رأس. قلت ولقد اقشعر بدني من جراءته على ذكر هذا فما أعوزه في التشبيه غير الرأس.

---

(١) قال الزمخشري في الكشاف: (وجه ربك) ذاته، والوجه يعبر به عن الجملة والذات، ومساكين مكة يقولون: أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان. [الرحمن: الآية ٢٧].

(٢) القصص: الآية ٨٨.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾(١)، ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾(٢) أي بمرأى منا وإنما جمع لأن عادة الملك أن يقول أمرنا ونهينا. وقد ذهب القاضي (أبو يعلى) إلى أن العين صفة زائدة على الذات وقد سبقه أبو بكر بن خزيمة(٣) فقال في الآية: لربنا عينان ينظر بهما، وقال ابن حامد: يجب الإيمان بأنَّ له عينين: وهذا ابتداع لا دليل لهم عليه، وإنما أثبتوا عينين من دليل الخطاب في قوله ﷺ «ليس بأعور»(٤)

(١) طه: الآية ٣٩.

(٢) يقول الزمخشري: (بأعيننا) في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظاً وحقيقته ملتبساً بأعيننا كأن لله معه أعيناً تكلؤه أن يزيغ في صنعه عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه، أهـ. ويقول الرازي في أساس التقديس عند الكلام على العين: لابد من المصير إلى التأويل وذلك هو أن يحمل هذه الألفاظ على شدة العناية والحراسة، والوجه في حسن هذا المجاز أن من عظمت عنايته بشيء وميله إليه ورغبته فيه كان كثير النظر إليه فجعل لفظ العين التي هي آلة لذلك النظر كناية عن شدة العناية. [هود: الآية ٣٧].

(٣) هو محمد بن اسحاق بن خزيمة النيسابوري توفي عام أحد عشر وثلاثمائة يعد في أكابر المحدثين، كان يورع نفسه عن الخوض في مسائل الكلام وينهى أصحابه عن ذلك. ثم اضطره بعض أهل النظر إلى الدخول في هذه المآزم فزلت قدمه وخرج إلى وجوه غير معقولة سامحه الله.

(٤) طالع الحديث الخمسين الآتي ترى مزيد تفصيل عن هذا الخبر.

وإنما أريد نفي النقص عنه تعالى ومى ثبت أنه لا يتجزأ لم يكن لما يتخايل من الصفات وجه.

ومنها قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾(١) اليد في اللغة بمعنى النمعة والإحسان، ومعنى قول اليهود لعنهم الله تعالى ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾(٢) أي محبوسة عن النفقة؛ واليد القوة يقولون: له بهذا الأمر يد. وقوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ

---

(١) يقول الزمخشري: أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب: هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدي له: يداك أوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك: هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك. اهـ. وقال الراغب الأصبهاني في مفرداته: قوله تعالى: ﴿ مما عملت أيدينا ﴾ وقوله ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ عبارة توليه لخلقه باختراعه الذي ليس إلا له عز وجل وخص لفظ اليد ليتصور لنا المعنى لا لنتصور منه تشبيهاً، وقيل العناه بنعمتي التي رشحتها لهم، والباء فيه ليس كالباء في قوله: قطعته بالسكين بل هو كقولهم خرج بسيفه أي معه سيفه، معناه خلقته ومعه نعمتاي الدنيوية والأخروية اللتان إذا رعاهما بلغ بهما السعادة الكبرىٰ. [صٓ: الآية ٧٥].

وقال العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره محاسن التأويل: ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ أي بنفسي من غير توسط كأب وأم.

(٢) المائدة: الآية ٦٤.

مَبۡسُوطَتَانِ ﴾[1] أي نعمته وقدرته[2] وقوله: ﴿ **لما خلقت بيدي** ﴾ أي بقدرتي ونعمتي وقال الحسن [يدي الله فوق أيديهم] أي منته وإحسانه، هذا كلام المحققين. وقال القاضي (أبو يعلى) اليدان صفتان ذاتيتان تسميان باليدين: وهذا تصرف بالرأي لا دليل عليه، وقال لو لم يكن لآدم عليه الصلاة والسلام مزية على سائر الحيوانات بخلقه باليد التي هي صفة لما عظمه بذكرها وأجله فقال (بيدي) ولو كانت القدرة لما كانت له مزية. ولو كانت القدرة لم تثن قلنا بلى قالت العرب ليس لي بهذا الأمر يدان أي ليس لي به قدرة، قال عروة بن حزام:

فقالا شفاك الله والله ما لنا
بما ضمنت منك الضلوع يدان

وقولهم: ميزه بذلك عن الحيوان فقد قال تعالى: ﴿ خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمًا ﴾[3] ولم يدل على

---

(١) المائدة: الآية ٦٤.

(٢) في أساس التقديس لمجدد القرن السادس الفخر الرازي: والسبب في حسن هذا المجاز أن كمال حال هذا العضو إنما يظهر بالصفة المسماة بالقدرة فلما كان المقصود من اليد حصول القدرة أطلق اسم القدرة على اليد ولأن آلة إعطاء النعمة اليد فإطلاق اسم اليد على النعمة إطلاق لاسم السبب على المسبب.

(٣) يس: الآية ٧١.

تمييز الأنعام على بقية الحيوان؛ قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴾[1] أي بقوة ثم قد أخبر أنه قد نفخ فيه من روحه ولم يرد الوضع بالفعل والتكوين، والمعنى نفخت أنا ويكفي شرف الإضافة إذ لا يليق بالخالق جل جلاله سوى ذلك لأنه لا يحتاج أن يفعل بواسطة ولا له أعضاء وجوارح يفعل بها لأنه تعالى الغني بذاته، فلا ينبغي أن يتشاغل بطلب تعظيم آدم عليه الصلاة والسلام مع الغفلة عما يستحقه الباري سبحانه من التعظيم بنفي الأبعاض والآلات في الأفعال لأن هذه الأشياء صفة الأجسام وقد ظن بعض الثلاثة أن الله تعالى يمس حتى توهموا أنه مس طينة آدم بيد هي بعض ذاته وما فطنوا أن من جملة مخلوقاته جسماً يقابل جسماً فيتحد به ويفعل فيه، أفتراه سبحانه وتعالى جعل أفعال الأشخاص والأجسام تتعدى إلى أجسام بعيدة ثم يحتاج هو في أفعاله إلى معاناة الطين؛ وقد رد قول من قال هذا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2].

---

(١) الذاريات: الآية ٤٧.

(٢) آل عمران: الآية: ٥٩.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾(٢) قال المفسرون: ويحذركم الله إياه وقالوا تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك، وقال المحققون: المراد بالنفس ههنا الذات، ونفس الشيء ذاته. وقد ذهب القاضي (أبو يعلى) إلى أن لله تعالى نفساً وهي صفة زائدة على ذاته. وهذا قول لا يستند إلا إلى التشبيه لأنه يوجب أن الذات شيء والنفس غيرها.

ومنها قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾(٣) ظاهر الكلام أن له مثلاً فليس كمثله شيء وليس كذلك، إنما معناه عند أهل اللغة أن يقام المثل مقام الشيء نفسه يقول الرجل مثلي لا يتكلم مثلك وإنما المعنى ليس كهو شيء.

---

(١) آل عمران: الآية ٢٨.

(٢) المائدة: الآية ١١٦.

(٣) يقول الزمخشري في الكشاف: قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه، ونظيره: قولك للعربي: العرب لا تخفر الذمم كان أبلغ من قولك: أنت لا تخفر، ومنه قولهم: قد أيفعت لداته وبلغت أترابه يريدون إيقاعه وبلوغه اهـ.
[الشورى: الآية ١١]. =

ومنها قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾[1]. قال جمهور العلماء: يكشف عن شدة وأنشدوا: «وقامت الحرب على ساق»[2] وقال آخر:

= وقال الراغب: إن الند يقال فيما يشارك في الجوهر فقط والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط والمساوي يقال فيما يشارك في الكمية فقط والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط والمثل عام في جميع ذلك ولهذا لما أراد الله نفي التشبيه من كل وجه خصه بالذكر فقال ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ وأما الجمع بين الكاف والمثل فقد قيل ذلك لتأكيد النفي تنبيهاً على أنه لا يصح استعمال المثل ولا الكاف فنفى بليس الأمرين جميعاً، وقيل المثل ههنا بمعنى الصفة ومعناه: ليس كصفته صفة تنبيهاً على أنه وإن وصف بكثير مما يوصف به البشر فليس تلك الصفات له على حسب ما يستعمل في البشر.

(١) ومما قاله الرازي في تفسير هذه الآية: يوم يكشف عن ساق جهنم أو عن ساق العرش أو عن ساق ملك مهيب عظيم واللفظ لا يدل إلا على ساق فأما أن ذلك الساق أي شيء هو فليس في اللفظ ما يدل عليه.

وفي محاسن التأويل للعلامة جمال القاسمي رحمه الله: وقال أبو سعيد الضرير: أي يوم يكشف عن أصل الأمر، وساق الشيء أصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الإنسان، أي تظهر يوم القيامة حقائق الأشياء وأصولها فالساق بمعنى أصل الأمر وحقيقته استعارة من ساق الشجر. [القلم: الآية ٤٢].

(٢) قال البيهقي في كتابه (الأسماء والصفات) عند الاستشهاد بهذا الكلام من الشعر: عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ **يوم** =

«وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا» قال ابن قتيبة: وأصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناة الجد فيه شمر عن ساقه فاستعيرت الساق في موضع الشدة وهذا قول الفراء وأبي عبيدة وثعلب واللغويين، وروى البخاري ومسلم في الصحيحين عن النبي ﷺ إن الله عز وجل يكشف عن ساقه[1] وهذه إضافة إليه معناها يكشف عن شدته وأفعاله المضافة إليه ومعنى يكشف عنها يزيلها، وقال عاصم بن كليب رأيت

= **يكشف عن ساق** ﴾ فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه من الشعر فإنه ديوان العرب.

(١) في صحيح البخاري: ثنا آدم ثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد ابن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد قال سمعت النبي ﷺ يقول ـ يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة.. الحديث. قال الحافظ ابن حجر: ووقع في هذا الموضع (يكشف ربنا عن ساقه) وهو من رواية سعيد ابن أبي هلال عن زيد بن أسلم فأخرجها الإسماعيلي كذلك ثم قال: في قوله عن ساقه نكرة ثم أخرجه من طريق حفص بن ميسرة عن زيد ابن أسلم بلفظ ـ يكشف عن ساق ـ قال الإسماعيلي هذه أصح لموافقتها لفظ القرآن في الجملة ا هـ.

وقد أخذ ابن شاقلا على البخاري إخراجه حديث الساق في صحيحة لأنه من رواية ابن أبي هلال ويراه ليس من شرطه لضعفه. وقال ابن حزم أيضاً: ابن أبي هلال ليس بالقوي قد ذكره بالتخليط يحيى وأحمد بن حنبل.

سعيد بن جبير غضب وقال: يقولون يكشف عن ساقه وإنما ذلك من أمر شديد وقد ذكر أبو عمر الزاهد: أن الساق بمعنى النفس قال ومنه قول علي رضي الله عنه لما قالت الشراة لا حكم إلا لله تعالى فقال: لا بد من محاربتهم ولو تلفت ساقي. فعلى هذا يكون المعنى يتجلى لهم. وفي حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: يكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله عز وجل فيخرون لله سجداً ويبقى أقوام في ظهورهم مثل صياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[1]. وقد ذهب القاضي (أبو يعلى) إلى أن الساق صفة ذاتية وقال: مثله يضع قدمه في النار وحكى عن ابن مسعود قال: يكشف عن ساقه اليمنى فتضيء من نور ساقه الأرض قلت وذكره الساق مع القدم تشبيه محض وما ذكره عن ابن مسعود محال ولا يثبت لله تعالى صفة بمثل هذه الخرافات ولا توصف ذاته بنور شعاعي تضيء به الأرض واحتجاجه بالإضافة ليس بشيء لأنه إذا كشف عن شدته فقد كشف عن ساقه، وهؤلاء وقع لهم أن معنى يكشف يظهر وإنما المعنى يزيل ويرفع. وقال

(١) القلم: الآية ٤٢.

ابن حامد يجب الإيمان بأن لله سبحانه وتعالى ساقاً صفة لذاته فمن جحد ذلك كفر. قلت: لو تكلم بهذا عامي جلف كان قبيحاً فكيف من ينسب إلى العلم فإن المتأولين أعذر منهم لأنهم يردون الأمر إلى اللغة وهؤلاء أثبتوا ساقاً للذات وقدماً حتى يتحقق التجسيم والصورة.

ومنها قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[1]

(١) [يونس: الآية ٣]. يقول الآلوسي في تفسيره: والناس في الكلام على هذه الآية ونحوها مختلفون فمنهم من فسر العرش بالمعنى المشهور وفسر الاستواء بالاستقرار وروى ذلك عن الكلبي ومقاتل ورواه البيهقي في (الأسماء والصفات) بروايات كثيرة عن جماعه من السلف وضعفها كلها. وما روي عن مالك رضي الله عنه أنه سئل كيف استوى فأطرق رأسه ملياً حتى علته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال: الإستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ثم قال للسائل: وما أظنك إلا ضالاً ثم أمر به فأخرج. ليس نصاً في هذا المذهب لاحتمال أن يكون المراد من قوله: (غير مجهول) أنه ثابت معلوم الثبوت لا أن معناه الإستقرار وهو غير مجهول. وقال في موضع آخر: وإلى نحو هذا ذهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال في بعض فتاويه: طريقة التأويل بشرطه وهو قرب التأويل أقرب إلى الحق لأن الله تعالى إنما خاطب العرب بما يعرفونه وقد نصب الأدلة على مراده من آيات كتابه لأنه سبحانه قال: ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ ولتبين للناس ما نزل إليهم، وهذا عام في جميع آيات القرآن فمن وقف على الدليل أفهمه الله مراده من كتابه وهو أكمل ممن لم يقف على ذلك إذ لا =

قال الخليل بن أحمد: العرش السرير وكل سرير لملك يسمى عرشاً والعرش مشهور عند العرب في الجاهلية والإسلام قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾[2]، اعلم أن الاستواء في اللغة على وجوه:

منها الاعتدال قال بعض بني تميم: فاستوى ظالم

= يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اهـ. وفيه توسط في المسألة، وقد توسط ابن العمام في (المسايرة) وقد بلغ رتبة الاجتهاد كما قال ابن عابدين الشامي في (رد المختار) توسطاً أخص من هذا التوسط فذكر ما حاصله: وجوب الإيمان بأنه تعالى استوى على العرش مع نفي التشبيه وأما كون المراد استولى فأمر جائز الإرادة لا واجبها إذ لا دليل عليه، وإذا خيف على العامة عدم فهم الاستواء إذا لم يكن بمعنى الاستيلاء إلا بالاتصال ونحوه من لوازم الجسمية فلا بأس بصرف فهمهم إلى الاستيلاء فإنه قد ثبت إطلاقه عليه لغة في قوله:

فلما علونا واستوينا عليهم
جعلناهم مرعى لنسر وطائر

وقوله:

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق

(١) يوسف: الآية ١٠٠.

(٢) النمل: الآية ٣٨.

العشيرة والمظلوم أي اعتدلا، والاستواء تمام الشيء قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ﴾[1] والاستواء القصد إلى الشيء قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[2] أي قصد خلقها والاستواء الاستيلاء على الشيء قال الشاعر:

إذا ما غزا قوماً أباح حريمهم
وأضحى على ما ملكوه قد استوى

وروى إسماعيل بن أبي خالد الطائي قال: العرش ياقوتة حمراء وجميع السلف على إيراد هذه الآية كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل، وقد حمل قوم من المتأخرين هذه الصفة على مقتضى الحس فقالوا استوى على العرش بذاته. وهذه زيادة لم ينقلوها إنما فهموها من إحساسهم وهو أن المستوى على الشيء إنما يستوي عليه ذاته. قال ابن حامد الاستواء مماسة وصفة لذاته والمراد به القعود[3].

---

(١) القصص: الآية ١٤.

(٢) البقرة: الآية ٢٩.

(٣) قال الجلال الديواني في شرح العضدية: وقد رأيت في بعض تصانيف (ابن تيمية) القول به (أي بالقدم النوعي) في العرش ا هـ.
وقال الشيخ محمد عبده فيما علقه عليه: وذلك أن ابن تيمية كان =

قال وقد ذهبت طائفة من أصحابنا إلى الله تعالى على عرشه ما ملأه وأنه يقعد نبيه معه على العـرش وقال والنزول انتقال. وعلى ما حكى تكون ذاته أصغر من العرش فالعجب من قول هذا ما نحن مجسمة. وقيل لابن الزاغوني هل تجددت له صفة لم تكن بعد خلق العرش قال لا إنما خلق العالم بصفة التحت فصار العالم بالإضافة إليه أسفل فإذا ثبتت لإحـدى الذاتين صفـة التحت ثبت للآخر استحقاق صفة الفوق.

قال وقد ثبت أن الأماكن ليست في ذاته فيها فثبت انفصاله عنها ولا بد من بدء يحصل به الفصل فلما قال استوى علمنا اختصاصه بتلك الجهة، قال ولا بد أن يكون لذاته نهاية وغاية يعلمها. قلت هذا رجل لا يدري

= من الحنابلة الآخذين بظواهر الآيات والأحاديث القائلين بأن الله استوى على العرش جلوساً، فلما أورد عليه أنه يلزم أن يكون العرش أزلياً لما أن الله أزلي فمكانة أزلي، وأزلية العرش خلاف مذهبه قال أنه قديم بالنوع أي أن الله لا يزال يعدم عرشاً ويحدث آخر من الأزل إلى الأبد حتى يكون له الاستواء أزلاً وأبدا ولننظر أين يكون الله بين الإعدام والإيجاد هل يزول عن الاستواء فليقل به أزلا فسبحان الله ما أجهل الإنسان وما أشنع ما يرضى لنفسه، ولست أعرف هل قال ابن تيمية بشيء من ذلك على التحقيق وكثيراً ما نقل عنه ما لم يقله ا هـ.

ما يقول لأنه إذا قدر غاية وفصلاً بين الخالق والمخلوق فقد حدده وأقر بأنه جسم وهو يقول في كتابه إنه ليس بجوهر لأن الجوهر ما تحيز ثم يثبت له مكاناً يتحيز فيه.

قلت وهذا كلام جهل من قائله وتشبيه محض فما عرف هذا الشيخ ما يجب للخالق تعالى وما يستحيل عليه فإن وجوده تعالى ليس كوجود الجواهر والأجسام التي لا بد لها من حيز والتحت والفوق إنما يكون فيما يقابل ويحاذي ومن ضرورة المحاذي أن يكون أكبر من المحاذي أو أصغر أو مثله وأن هذا ومثله إنما يكون في الأجسام وكل ما يحاذي الأجسام يجوز أن يمسها وما جاز عليه مماسة الأجسام ومباينتها فهو حادث إذ قد ثبت أن الدليل على حدوث الجواهر قبولها المماسة والمباينة فإن أجازوا هذا عليه قالوا بجواز حدوثه وإن منعوا هذا عليه لم يبق لنا طريق لإثبات حدث الجوهر ومتى قدرنا مستغنياً عن المحل والحيز ومحتاجاً إلى الحيز ثم قلنا إما أن يكونا متجاورين أو متباينين كان ذلك محالاً فإن التجاور والتباين من لوازم التحيز في المتحيزات.

وقد ثبت أن الاجتماع والافتراق من لوازم التحيز والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالتحيز لأنه لو كان متحيزاً لم يخل إما أن يكون ساكناً في حيزه أو متحركاً

عنه ولا يجوز أن يوصف بحركة ولا سكون ولا اجتماع ولا افتراق ومن جاور أو باين فقد تناهى ذاتاً والتناهي إذا اختص بمقدار استدعى مخصصاً، وكذا ينبغي أن يقال ليس بداخل في العالم وليس بخارج منه لأن الدخول والخروج من لوازم المتحيزات فهما كالحركة والسكون وسائر الأعراض التي تحس بالأجرام.

وأما قولهم خلق الأماكن لا في ذاته فثبت انفصاله عنها قلنا ذاته المقدسة لا تقبل أن يخلق فيها شيء ولا أن يحل فيها شيء وقد حملهم الحس على التشبيه والتخليط حتى قال بعضهم إنما ذكر الاستواء على العرش لأنه أقرب الموجودات إليه. وهذا جهل أيضاً لأن قرب المسافة لا يتصور إلا في جسم، ويعز علينا كيف ينسب هذا القائل إلى مذهبنا؛ واحتج بعضهم بأنه على العرش بقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾(١) وبقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾(٢) وجعلوا ذلك فوقية حسية ونسوا أن الفوقية الحسية إما أن تكون لجسم أو جوهر وأن الفوقية قد تطلق لعلو المرتبة.

---

(١) فاطر: الآية ١٠.

(٢) الأنعام: الآية ١٨.

فيقال: فلان فوق فلان[١] ثم أنه كما قال تعالى فوق عباده قال تعالى: ﴿ وهو معكم ﴾ فمن حملها على العلم حمل خصمه الاستواء على القهر[٢] وذهبت طائفة إلى أن الله تعالى على عرشه قد ملأه والأشبه أنه مماس للعرش والكرسي موضع قدميه. قلت المماسة إنما تقع بين جسمين وما أبقى هذا في التجسيم بقية.



فصل: فإن قيل فقد أخرج في الصحيحين من حديث شريك بن أبي نمر عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه ذكر المعراج فقال فيه: فعلا به إلى الجبار تعالى فقال وهو في مكانه يا رب خفف عنا.

---

(١) في التفسير الكبير للفخر الرازي: العالم كرة وإذا كان الأمر كذلك امتنع أن يكون إليه العالم حاصلاً في جهة فوق، إذا فرضنا إنسانين وقف أحدهما على نقطة المشرق والآخر على نقطة المغرب صار أخمص قدميهما متقابلين والذي هو فوق بالنسبة لاحدهما يكون تحت بالنسبة إلى الثاني، وكونه تعالى تحت أهل الدنيا محال بالاتفاق فوجب أن لا يكون في حيز معين.

(٢) يقول الفخر الرازي في أساس التقديس: إن ظاهر قوله تعالى: ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ وقوله: ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾ وقوله: ﴿ **وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله** ﴾ ينفي كونه مستقراً على العرش، وليس تأويل هذه الآيات لتبقى الآيات التي تمسكوا بها على ظاهرها أولى من العكس اهـ.

الجواب: إن أبا سليمان الخطابي قال هذه لفظة تفرد بها شريك ولم يذكرها غيره وهو كثير التفرد بمناكير الألفاظ والمكان لا يضاف إلى الله تعالى إنما هو مكان النبي ﷺ ومقامه الأول الذي أقيم فيه وفي هذا الحديث ـ فاستأنت على ربي وهو في داره ـ يوهم مكاناً وإنما المعنى في داره التي دورها لأوليائه[1].

وقد قال القاضي (أبو يعلى) في كتابه المعتمد: إن الله عز وجل لا يوصف بالمكان.

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿ أَءَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[2]

---

(١) زاد البيهقي في كتابه الأسماء والصفات: «وهي الجنة».

(٢) قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: إن هذه الآية: لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين لأن كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطاً به من جميع الجوانب فيكون أصغر من السماء والسماء أصغر من العرش بكثير فيلزم أن يكون الله تعالى شيئاً حقيراً بالنسبة إلى العرش وذلك باتفاق أهل الإسلام محال. وقال الزمخشري ووافقه الفخر: «من في السماء» فيه وجهان أحدهما من ملكوته في السماء لأنها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه، والثاني إنهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه في السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف أو بحاصب كما تقول لبعض المشبهة: =

قد ثبت قطعاً أن الآية ليست على ظاهرها لأن لفظة (في) للظرفية والحق سبحانه وتعالى غير مظروف وإذا منع الحس أن ينصرف إلى مثل هذا بقي وصف العظيم بما هو عظيم عند الخلق.

ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾[1] أي في طاعته وأمره لأن التفريط لا يقع إلا في ذاته وأما الجنب المعهود من ذي الجوارح فلا يقع فيه تفريط. وقال ابن حامد نؤمن بالله سبحانه وتعالى جنباً بهذه الآية. فواعجباً من عدم العقول إذا لم يتهيأ التفريط في جنب مخلوق فكيف يتهيأ في صفة الخالق جل جلاله وأنشد ثعلبة:

= أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل إذا رأيته يركب بعض المعاصي، وقال الرازي أيضاً: والغرض من ذكر السماء تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته كما قال «وهو الله في السموات وفي الارض» فإن الشيء الواحد لا يكون دفعة واحدة في مكانين، وقال أيضاً: لم لا يجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿ **من في السماء** ﴾ هو الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل عليه السلام.

(١) يقول الزمخشري في كشافه: والجنب الجانب، يقال: أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب، ثم قالوا: فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه، قال سابق البربري:

أما تتقين الله في جنب وامق
له كبد حري عليك تقطع =

خليلي كفا واذكر الله في جنبي: أي في أمري.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾(١) قال المفسرون أي من رحمتنا وإنما نسب الروح إليه لأنه بأمره كان.

ومنها قوله تعالى: ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾(٢) أي يؤذون أولياءه

= وقال السيد محمود الآلوسي في تفسيره «روح المعاني»: وبالجملة لا يمكن إبقاء الكلام على حقيقته لتنزهه عز وجل من الجنب بالمعنى الحقيقي ولم أقف على عد أحد من السلف إياه من الصفات السمعية، ولا أعول على ما في المواقف، وعلى فرض العد كلامهم فيها شهير وكلهم مجمعون على التنزيه وسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وفي حرف عبد الله وحفصة (في ذكر الله) اهـ. وقال العلامة القاسمي في تفسيرها: أي في جانب أمره ونهيه إذ لم أتبع أحسن ما أنزل.

(١) قال الشهاب الآلوسي: (ونفخت فيه من روحي) تمثيل لإفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها فليس ثمة نفخ ولا منفوخ أي فإذا أكملت استعداده وأفضت عليه ما يحيا به من الروح الطاهرة التي هي أمرى.

(٢) قال الآلوسي (إن الذين يؤذون الله ورسوله) أريد بالإيذاء إما أرتكاب ما لا يرضيانه من الكفر وكبائر المعاصي مجازاً لأنه سبب أو لازم له وإن كان ذلك بالنظر إليه تعالى بالنسبة إلى غيره سبحانه فإنه كاف في العلاقة، وقيل في إيذائه تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين: يد الله مغلولة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

كقوله تعالى: ﴿واسئل القرية﴾ أي أهلها. وقال ﷺ «أحد جبل يحبنا ونحبه» وقال الشاعر(١):

أنبئت أن النار بعدك أوقدت
واستب بعدك يا كليب المجلس

ومنها قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾(٢) أي بظلل وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وجاء**

---

(١) الشاعر هو مهلهل بن ربيعة والبيت في مجالس ثعلب ٦٥٢.

(٢) ومما قاله جار الله الزمخشري: ويجوز أن يكون المأتي به محذوفاً بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه (فإن الله عزيز)، فإن قلت: لم يأتيهم العذاب في الغمام؟ قلت لأن الغمام مظنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير، ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث، ومن ثمة أشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى: ﴿ **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** ﴾.

وساق الفخر الرزي في هذا المعنى فصلاً مشبعاً ـ شأنه في تفسير آيات الصفات ـ إلى أن قال: أن قوله (يأتيهم الله) وقوله (وجاء ربك) أخبار عن حال القيامة ثم ذكر هذه الواقعة بعينها في سورة النحل فقال ﴿ **هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك** ﴾ فصار هذا المحكم مفسراً لذلك المتشابه لأن كل هذه الآيات لما وردت في واقعة واحدة لم يبعد حمل بعضها على بعض، وقال تعالى بعده ﴿ وقضي الأمر ﴾ ولا شك أن الألف =

ربك ﴾ ذكر القاضي (أبو يعلى) عن الإمام أحمد ابن حنبل أنه قال قوله تعالى ﴿**أن يأتيهم الله** ﴾.

قال المراد به قدرته وأمره قال وقد بينه في قوله تعالى: ﴿ **أو يأتي أمر ربك** ﴾ ومثل هذا في التوراة ﴿ **وجاء ربك** ﴾ قال إنما هي قدرته.

قال ابن حامد وهذا خطأ إنما ينزل بذاته بانتقال.

= واللام للمعهود السابق فلا بد وأن يكون قد جرى ذكر أمر قبل ذلك حتى تكون الألف واللام إشارة إليه وما ذاك إلا الذي أضمرناه من أن قوله ﴿ **يأتيهم الله** ﴾ أي يأتيهم أمر الله. وأنهى كلامه بقوله: والذي هو أوضح عندي من كل ما سلف أنا ذكرنا أن قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة** ﴾ إنما نزلت في حق اليهود وعلى هذا التقدير فقوله ﴿ **فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم** ﴾ يكون خطاباً مع اليهود وحينئذ يكون قوله تعالى: ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة** ﴾، حكاية عن اليهود، والمعنى إنهم لا يقبلون دينك إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة، ألا ترى أنهم فعلوا مع موسى مثل ذلك.

فقالوا (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة)، وإذا كان هذا حكاية عن حال اليهود لم يمنع إجراء الآية على ظاهرها وذلك لأن اليهود كانوا على مذهب التشبيه وكانوا يجوزون على الله المجيء والذهاب وكانوا يقولون: أنه تعالى تجلى لموسى عليه السلام على الطور في ظلل من الغمام وطلبوا مثل ذلك في زمن محمد ﷺ.

قلت وهذا كلام في ذات الله تعالى بمقتضى الحس كما يتكلم في الأجسام.

قال ابن عقيل في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[1] قال من كف خلقه عن السؤال عن مخلوق فكفهم عن الخالق وصفاته أولى وأنشدوا:

كيفية النفس ليس المرء يدركها

فكيف كيفية الجبار في القدم

(١) الإسراء: الآية ٨٥.

بـــاب

ذكر الأحاديث التي سموها أخبار الصفات

إعلم أن في الأحاديث دقائق وآفات لا يعرفها إلا العلماء الفقهاء تارة في نقلها وتارة في كشف معناها وسنوضح ذلك إن شاء الله تعالى.

الحديث الأول: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام على صورته»[1].

---

(١) يقول الراغب الأصفهاني: الصورة أراد بها ما خص الإنسان بها من الهيئة المدركة بالبصر والبصيرة وبها فضله على كثير من خلقه، وإضافته إلى الله سبحانه على سبيل الملك لا سبيل البعضية والتشبيه تعالى عن ذلك وذلك على سبيل التشريف له كقوله بيت الله وناقة الله ونحو ذلك ونفخت فيه من روحي.

للناس في هذا مذهبان: أحدهما السكوت عن تفسيره والثاني الكلام في معناه، واختلف أرباب هذا المذهب في الهاء إلى من تعود على ثلاثة أقوال، أحدها تعود إلى بعض بني آدم قال وذلك أن النبي ﷺ مر برجل يضرب رجلاً وهو يقول: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فقال ﷺ: «إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورتـه» وإنما خص آدم بالذكر لأنه هو الذي ابتدئت خلقة وجهه على هذه الصورة التي احتذى عليها من بعده وكأنه نبه على أنك عبت آدم وأنت من ولده وذلك مبالغة في زجره فعلى هذا تكون الهاء كناية عن المضروب[١].

ومن الخطأ الفاحش أن ترجع إلى الله عز وجل لقوله ووجه من أشبه وجهك فإنه إذا نسبت إليه سبحانه كان تشبيهاً صريحاً. وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة

---

(١) مما أورده الرازي في تأويل هذا الخبر قوله: أن المراد منه إبطال قول من يقول أن آدم كان على صورة أخرى مثل ما يقال أنه كان عظيم الجثة طويل القامة بحيث يكون رأسه قريباً من السماء فالنبي عليه السلام أشار إلى إنسان معين (وهو المضروب).

وقال: «إن الله خلق آدم على صورته» أي كان شكل آدم مثل شكل هذا الإنسان من غير تفاوت البتة.

رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته».

القول الثاني: أن الهاء كناية عن اسمين ظاهرين، فلا يصلح أن تصرف إلى الله عز وجل لقيام الدليل أنه تعالى ليس بذي صورة فعادت إلى آدم، ومعنى الحديث أن الله تعالى خلق آدم على صورته التي خلقه عليها تاماً لم ينقله من نطفة إلى علقة كبنيه[1]. هذا مذهب أبي سليمان الخطابي، وقد ذكره ثعلب في أماليه.

القول الثالث: أنها تعود إلى الله تعالى، وفي معنى ذلك قولان: أحدهما أن تكون صورة ملك لأنها فعله وخلقه فتكون إضافتها إليه من وجهين: أحدهما التشريف بالإضافة كقوله تعالى ﴿ **وطهر بيتي للطائفين** ﴾ والثاني

---

(١) ومن الوجوه التي سردها الفخر في هذا المقام قوله: أنه تعالى لما عظم أمر آدم يجعله مسجود الملائكة، ثم أنه أتى بتلك الزلة فالله تعالى لم يعاقبه مثلما عاقب به غيره فإنه نقل أن الله تعالى أخرجه من الجنة وأخرج معه الحية والطاووس وغير تعالى خلقهما مع أنه لم يغير خلقة آدم بل تركه على الخلقة الأولى إكراماً له وصوناً له عن عذاب المسخ اهـ. وذهب البيهقي هذا المذهب.

ابتدعها لا على مثال سبق. والقول الثاني أن تكون الصورة بمعنى الصفة تقول هذا صورة هذا الأمر أي صفته ويكون خلق آدم على صفته من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة فميزه بذلك عن جميع الحيوانات ثم ميزه على الملائكة بصفة التعالي حين أسجدهم له، والصورة ههنا معنوية لا صورة تخاطيط. وقد ذهب أبو محمد بن قتيبه[1] في هذا الحديث إلى مذهب قبيح فقال لله تعالى صورة لا كالصور فخلق آدم عليها. وهذا تخليط وتهافت لأن معنى كلامه أن صورة آدم كصورة الحق تعالى. وقال القاضي (أبو يعلى) يطلق على الحق تعالى تسمية الصورة لا كالصور كما أطلقنا إسم ذاته. وهذا تخليط لأن الذات بمعنى شيء، وأما الصورة فهي هيئة وتخاطيط وتأليف، ويفتقر إلى مصور ومؤلف وقول القائل لا كالصور نقض لما قاله وصار بمثابة من يقول جسم لا كالأجسام فإن الجسم ما كان مؤلفاً فإذا قال لا كالأجسام نقض ما قال.

---

(١) هو صاحب التصانيف أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة أحد أئمة الأدب، إخباري، قليل الرواية، قد يعتمد في التشبيه على ما يرويه من كتب أهل الكتاب، يتهم بالنصب، كذبه الحاكم ووثقه غيره، مات عام ست وسبعين ومائتين.

الحديث الثاني: روى عبد الرحمن بن عياش عن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد قلت أنت أعلم يا رب فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات والأرض». قال الإمام أحمد أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة وقد رُوي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني آتٍ في أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت لا أدري فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعرفت كل شيء يسألني عنه، ورُوي من حديث ثوبان قال خرج علينا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح فقال: «إن ربي أتاني الليلة في أحسن صورة فقال لي: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى قلت: لا أعلم يا رب فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري فتجلى لي ما بين السماء والأرض». وهذه أحاديث مختلفة وأحسن طرقها يدل على أن ذلك كان في النوم ورؤيا المنام وهم والأوهام لا تكون حقائق[1] وإن الإنسان يرى كأنه يطير أو

---

(١) يقول الحافظ ابن حجر في مثل هذا المقام: ولا التفات إلى من تعقب كلامه بقوله. في الحديث الصحيح (إن رؤيا الأنبياء وحي) فلا يحتاج إلى تعبير لأنه كلام من لم يمعن النظر في هذا المحل.

كأنه قد صار بهيمة. وقد رأى أقوام في منامهم الحق سبحانه على ما ذكرنا؛ وإن قلنا أنه رآه في اليقظة فالصورة إن قلنا ترجع إلى الله تعالى فالمعنى رأيته على أحسن صفاته من الإقبال عليَّ والرضى عني وإن قلنا ترجع إلى رسول الله ﷺ فالمعنى رأيته وأنا على أحسن صورة[١] وروى ابن حامد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال. لما أُسري بي رأيت الرحمن تعالى في صورة شاب أمرد له نور يتلألأ وعن عن[٢] وصفه لكم فسألت ربي أن يكرمني برؤيته وإذا كأنه عروس حين كشف عنه حجابه مستو على عرشه. وهذا الحديث كذب قبيح ما رُوي قط لا في صحيح ولا في

---

(١) بقي على المؤلف أن يتكلم على عجز الحديث ونحن ننقل عن (أساس التقديس) للفخر الرازي ما يفي بالغرض؛ وأما قوله: ـ وضع يده بين كتفي ـ ففي وجهان. الأول المراد منه المبالغة في الاهتمام بحاله والاعتناء بشأنه. الثاني أن يكون المراد من اليد النعمة. وأما قوله: ـ بين كتفي ـ فإن صح فالمراد منه أنه أوصل إلى قلبه من أنواع اللطف والرحمة. وأما قوله ـ فوجدت بردها ـ فيحتمل أن المعنى برد النعمة وروحها وراحتها من قولهم. عيش بارد إذا كان رغداً، والذي يدل على أن المراد منه كمال المعارف قوله عليه السلام في آخر الحديث: «فعلمت ما بين المشرق والمغرب» اهـ.

(٢) هكذا في الأصل.

كذب فأبعد الله تعالى عن عمله فقد كنا نقول ذاك منام فيذكر هذا ليلة الإسراء كافأهم الله عز وجل وجزاهم النار يشبهون الله سبحانه وتعالى بعروس ما كتب هذا مسلم. وأما حديث البرد في الحديث الماضي فإن البرد عرض لا يجوز أن ينسب إلى الله عز وجل وقد ذكر القاضي (أبو يعلى) في كتابه الكناية (رأيت ربي في أحسن صورة) أي في أحسن موضع.

* * *

الحديث الثالث: روت أم الطفيل امرأة أبي أنها سمعت رسول الله ﷺ يذكر أنه رأى ربه عز وجل في المنام في أحسن صورة شاباً منوراً في خضر في رجليه نعلان من ذهب وعلى وجهه فراش من ذهب. هذا الحديث يرويه نعيم بن حماد قال ابن عدي كان يضع الحديث وسئل الإمام أحمد فأعرض بوجهه عنه وقال حديثه منكر مجهول. وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: رأيت ربي جعداً أمرد عليه حلة خضراء، وهذا مروي من طريق حماد بن سلمة. وكان ابن أبي العوجاء الزنديق ربيب حماد وكان يدس في كتبة هذه الأحاديث لا ثبوت لها ولا يحسن أن يحتج بها. وقد أثبت القاضي (أبو يعلى) صفات لله تعالى فقال قوله شاب وأمرد وجعد وقطط والفراش والنعلان والتاج قال ثبت ذلك تسمية لا نعقل

معناها. ومن يثبت بالمنام وما صح نقله صفات! وقد عرفنا معنى الشاب والأمرد ثم يقول ما هو كما نعلم كمن يقول قام فلان وما هو بقائم وقعد وما هو بقاعد، قال ابن عقيل هذا الحديث نجزم بأنه كذب ثم لا تنفع ثقة الرواة إذا كان المتن مستحيلاً وصار هذا كما لو أخبرنا جماعة من المعدلين بأن جمل البزاز دخل في خرم إبرة الخياط، فإنه لا حكم لصدق الرواة مع استحالة خبرهم.

* * *

الحديث الرابع: رُوي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: ليلة أسري بي رأيت كل شيء من ربي حتى رأيت تاجاً مخوصاً من لؤلؤ. هذا يرويه أبو القاسم محمد بن اليسع عن قاسم بن إبراهيم. قال الأزهري كنت أقعد مع ابن اليسع ساعة فيقول قد ختمت الختمة منذ قعدت وقاسم ليس بشيء، قال الدارقطني هو كذاب. كافأ الله تعالى من عمل هذا.

* * *

الحديث الخامس: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال «يجمع الله الناس فيقول من كان يعبد شيئاً فليتعبه فيتبعون ما كانوا يعبدون وتبقى هذه الأمة بمنافقيها فيأتيهم

الله تعالى في غير الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله تعالى منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم في الصورة التي يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا». وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول (أنا ربكم) فيقولون أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيقال هل بينكم وبينه آية تعرفونها فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن»[1].

إعلم أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد أن الله سبحانه وتعالى لا يجوز عليه الصورة التي هي هيئة وتأليف، قال أبو سليمان الخطابي معنى فيأتيهم الله تعالى أي يكشف الحجاب لهم حتى يرونه عياناً كما كانوا عرفوه في الدنيا استدلالاً فرؤيته بعد أن لم يكونوا رأوه بمنزلة إتيان الآتي لم يكن شوهد قبل. وقال بعض العلماء يأتيهم بأهوال القيامة وصور الملائكة[2] ولم

---

(١) تقدم الكلام على هذا الحديث عند تفسير قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾.

(٢) باعتبار (في) بمعنى الباء ونظيره قول ابن عباس في قوله تعالى: =

يعهدوا مثله في الدنيا فيستعيذون من تلك الحال ويقول إذا جاء ربنا عرفناه أي إذا أتانا بما نعرفه من لطفه وهي الصورة التي يعرفون فيكشف عن ساق أي عن شدة كأنه يرفع تلك الشدائد المهولة فيسجدون شكراً، وقال بعضهم صورة يمتحنهم بها كما يبعث الدجال فيقولون نعوذ بالله تعالى منك. وفي حديث أبي موسى عن رسول الله ﷺ: «أن الناس يقولون إن لنا رباً كنا نعبده في الدنيا فيقال أوَتعرفونه إذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال كيف تعرفونه ولم تروه فيقولون إنه لا شبيه له فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله عز وجل فيخرّون سجداً».

قال ابن عقيل الصورة على الحقيقة تقع على التخاطيط والأشكال، وذلك من صفات الأجسام والذي صرفنا عن كونه جسماً من الأدلة القطعية قوله تعالى: ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ ومن الأدلة العقيلة أنه لو كان جسماً كانت صورته عرضاً ولو كان حامل الأعراض جاز عليه ما يجوز على الأجسام وافتقر إلى صانع ولو كان جسماً مع قدمه جاز قدم أحدنا فأحوجتنا الأدلة إلى تأويل صورة يليق إضافتها إليه وما ذلك إلا الحال الذي يوقع

= ﴿ **هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام** ﴾ أي بظلل من الغمام على ما نقله الفخر الرازي في كتابه.

عليها أهل اللغة اسم صورة فيقولون كيف صورتك مع فلان، وفلان على صورة من الفقر. والحال التي أنكروها العسف والتي يعرفونها اللطف فيكشف عن الشدة، والتغير إنما يليق بفعلة فأما ذاته فتعالت عن التغير، نعوذ بالله أن يحمل الحديث على ما قالته المجسمة أن الصورة ترجع إلى ذاته وأن ذلك تجويز التغير على صفاته فخرجوه في صورة إن كانت حقيقة فذاك استحالة وإن كان تخيلاً فليس ذاك هو إنما يريهم غيره.

* * *

الحديث السادس: روى مسلم في صحيحه من حديث المغيرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: لا شخص أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ولا شخص أحب إليه المدحة من الله.

لفظة الشخص يرويها بعض الرواة ويروي بعضهم: لا شيء أغير من الله، والرواة يرون بما يظنونه المعنى وكذلك شخص من تغيير الرواة. وقد يكون المعنى ليس منكم أيها الأشخاص أغير من الله لأنه لما اجتمع الكل بالذكر سمى بأسمائهم والشخص لا يكون إلا جسماً مؤلفاً ومثل هذا قول ابن مسعود: وما خلق من جنة، ولا نار أعظم من آية الكرسي، قال الإمام أحمد بن حنبل

الخلق يرجع إلى الجنة والنار لا إلى القرآن. ويجوز أن يكون هذا من باب المستثنى من غير المستثنى من غير الجنس كقوله تعالى: ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾[1] وأما الغيرة فقد قالت العلماء كل من غار من شيء أسندت كراهته له فلما حرم الفواحش ووعد عليها وصفه رسول الله ﷺ بالغيرة.

* * *

الحديث السابع: روى أبو موسى عن النبي ﷺ قال «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض»[2].

وإنما أضيفت القبضة لأن أفعال المملوك تنسب إلى المالك وذلك أنه بعث من قبض كقوله تعالى: ﴿ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ ﴾[3] وقد روى محمد بن سعد في كتاب الطبقات أن الله تعالى بعث إبليس فأخذ من أديم الأرض فخلق منه آدم ثم قال: ﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾[4].

---

(١) النساء: الآية ١٥٧.

(٢) يقول السيوطي في الجامع الكبير: أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد والحاكم والبيهقي في السنن والطبراني في الكبير وابن سعد.

(٣) القمر: الآية ٣٧.

(٤) الإسراء: الآية ٦١.

الحديث الثامن: روى سلمان قال إن الله لما خمر طينة آدم وضرب بيديه فيه فخرج كل طيب في يمينه وكل خبيث في يده الأخرى ثم خلط بينهما فمن ثم يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي.

وهذا مرسل وقد ثبت بالدليل أن الحق سبحانه وتعالى لا يوصف بمس شيء وإن صح فيضرب مثلاً لما جرت به الأقدار، وقال القاضي (أبو يعلى) تخمير الطين وخلط بعضه ببعض مضاف إلى اليد التي خلق بها آدم. وهذا التشبيه المحض.

* * *

الحديث التاسع: روى عبيد بن حنين قال بينا أنا جالس في المسجد إذ جاء قتادة بن النعمان فجلس فتحدث ثم قال انطلق بنا إلى أبي سعيد الخدري فإنه قد أُخبرت أنه قد اشتكى فانطلقنا حتى دخلنا على أبي سعيد فوجدناه مستلقياً واضعاً رجله اليمنى على اليسرى فسلمنا عليه وجلسنا فرفع قتادة يده إلى رجل أبي سعيد الخدري وقرصها قرصة شديدة فقال أبو سعيد سبحان الله يا ابن أم أوجعتني قال ذلك أردت إن رسول الله ﷺ قال: إن الله تعالى لما قضى خلقه استلقى ثم وضع إحدى رجليه على

الأخرى ثم قال: لا ينبغي لأحد من خلقي أن يفعل هذا. قال أبو سعيد لا جرم لا أفعله أبدا[1].

قال عبد الله بن حنبل ما رأيت هذا الحديث في دواوين الشريعة المعتمد عليها، وأما عبيد بن حنين فقال: البخاري لا يصح حديثه في أهل المدينة. وفي الحديث علة أخرى وهي أن قتادة بن النعمان مات في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وعبيد بن حنين مات سنة خمس ومائة وله خمس وسبعون سنة في قول الواقدى فتكون روايته عن قتادة بن النعمان منقطعة، قال الإمام أحمد ثم لو صح طريقه احتمل أن يكون رسول الله ﷺ حدث به عن بعض أهل الكتاب على طريق الإنكار عليهم فلم يفهم قتادة إنكاره.

---

(١) روى الحافظ البيهقي هذا الخبر في (الأسماء والصفات) وقال: فهذا حديث منكر ولم أكتبه إلا من هذا الوجه وفليح بن سليمان ـ أحد رواته ـ مع كونه من شرط البخاري ومسلم فلم يخرجا حديثه هذا في الصحيح وهو عند الحافظ غير محتج به، عن يحيى بن معين يقول: فليح بن سليمان لا يحتج بحديثه، عنه يقول: فليح ضعيف، وعن النسائي أنه قال: فليح ليس بالقوي قال الشيخ: فإذا كان فليح ابن سليمان المدني مختلفاً في جواز الاحتجاج به عند الحافظ لم يثبت بروايته مثل هذا الأمر العظيم اهـ. وذكر أيضاً علة عدم اجتماع عبيد بقتادة.

ومن هذا الفن حديث رويناه أن الزبير سمع رجلاً يحدث عن رسول الله ﷺ فاستمع له الزبير حتى إذا قضى الرجل حديثه قال له الزبير أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ فقال الرجل نعم. قال هذا وأشباهه مما يمنعان أن نحدث عن النبي ﷺ قد لعمري سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأنا يومئذ حاضر ولكن رسول الله ﷺ: ابتدأ بهذا الحديث فحدثناه عن رجل من أهل الكتاب حدثه يومئذ فجئت أنت بعد انقضاء صدر الحديث وذكر الرجل الذي هو من أهل الكتاب فظننت أنه من حديث رسول الله ﷺ. قلت وغالب الظن أن الإشارة في حديث الزبير إلى حديث قتادة فإن أهل الكتاب قالوا: إن الله تعالى لما خلق السموات والأرض استراح فنزل قوله تعالى: ﴿ وما مسنا من لغوب ﴾ فيمكن أن يكون رسول الله ﷺ حكى ذلك عنهم ولم يسمع قتادة أول الكلام.

وقد روى عبد الرحمن بن أحمد في كتاب السنة قال رأيت الحسن قد وضع رجله اليمنى على شماله وهو قاعد فقلت يا أبا سعيد تكره هذه القعدة فقال قاتل الله اليهود ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾(١) فعرفت ما

---

(١) ق: الآية ٣٨.

عني به فأمسكت. قلت وإنما أشار الحسن إلى ما ذكرناه عن اليهود.

وقد صح عن رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما أنهم كانوا يستلقون ويضعون رجلاً على رجل وإنما يكره الله هذا لمن لا سراويل له والله أعلم.

❊ ❊ ❊

الحديث العاشر: روى القاضي (أبو يعلى) عن حسان ابن عطية أن رجلاً من المشركين سب رسول الله ﷺ فحمل عليه رجل من المسلمين فقتله وقتل الرجل فقال رسول الله ﷺ: ما تعجبون من نصر الله تعالى ورسوله لقي الله تعالى متكئاً فقعد له.

هذا حديث مقطوع بعيد عن الصحة ولو كان له وجه كان المعنى فأقبل الله تعالى عليه وأنعم.

❊ ❊ ❊

الحديث الحادي عشر: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال. «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض»[1].

---

(١) يقول جار الله الزمخشري في كتابه (الفائق في غريب الحديث): =

قلت الواجب علينا أن نعتقد أن ذات الله عز وجل لا تتبعض ولا يحويها مكان ولا توصف بالتغير ولا بالانتقال، وقد حكى أبو عبيد الهروي عن الحسن البصري أنه قال. القدم هم الذين قدمهم الله لها من شرار خلقه وأثبتهم لها.

وقال أبو منصور الأزهري: القدم الذين تقدم القوم بتخليدهم في النار يقال لما قدم قدم ولما هدم هدم، ويؤيد هذا قوله وأما الجنة فينشىء لها خلقاً ووجه ثان أن كل قادم عليها يسمى قدماً فالقدم جمع قادم، ومن يرويه بلفظ الرجل فإنه يقال «رجل من جراد» فيكون المراد يدخلها جماعة يشبهون في كثرتهم الجراد فيسرعون التهافت فيها.

قال القاضي (أبو يعلى): القدم صفة ذاتية، قال ابن الزاغوني: يقول إنما وضع قدمه في النار ليخبرهم أن أصنامهم تحترق وأنا لا أحترق. وهذا إثبات تبعيض وهو من أقبح الاعتقادات.

= وضع القدم على الشيء مثل للردع والقمع فكأنه قال: يأتيها أمر الله فيكفها عن طلب المزيد فترتدع اهـ. وفي أساس البلاغة: من المجاز (فيضع قدمه عليها) أي فيسكنها ويكسر سورتها كما يضع الرجل قدمه على الشيء المضطرب فيسكنه.

ورأيت أبا بكر بن خزيمة قد جمع كتاباً في الصفات[١] وبوبه فقال: باب اثبات اليد، باب إمساك السموات على أصابعه، باب إثبات الرجل وأن رغمت المعتزلة ثم قال قال الله تعالى: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ﴾[٢] فأعلمنا أن ما لا يد له ولا رجل فهو كالأنعام.

قال ابن عقيل: تعالى الله أن يكون له صفة تشغل الأمكنة وليس الحق تعالى بذي أجزاء وأبعاض فيعالج بها، ثم أنه أليس يعمل في النار أمره وتكوينه حتى يستعين بشيء من ذاته ويعالجها بصفة من صفاته وهو القائل: ﴿ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا ﴾[٣] فما أسخف هذا الاعتقاد وأبعده عن مكون الأملاك والأفلاك. وقد صرح بتكذيبهم فقال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾[٤] فكيف يظن بالخالق أن يردها تعالى الله عن تجاهل المجسمة.

الحديث الثاني عشر: روى أبو هريرة عن النبي ﷺ

---

(١) وهو الكتاب الذي يسميه «كتاب التوحيد»، والإمام فخر الدين الرازي يقول عنه: وهو في الحقيقة (كتاب الشرك).

(٢) الأعراف: الآية ١٩٥.

(٣) الأنبياء: الآية ٦٩.

(٤) الأنبياء: الآية ٩٩.

أنه قال «ضرس الكافر في النار مثل أحد وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار»[1].

قال أبو عمرو الزاهد: الجبار ها هنا الطويل، يقال نخلة جبارة[2]؛ قال القاضي (أبو يعلى) نحملها على ظاهرها والجبار هو الله عز وجل. قلت واعجباً أذهبت العقول إلى هذا الحد!، أو يجوز أن يقال: أن الذراع اثنان وأربعون مرة حتى يبلغ جلد الكافر ويضاف إلى الذات القديمة! تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

* * *

---

(١) يقول الشيخ إسماعيل العجلوني في كتابه (كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس): رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً، وأحمد والطبراني والبيهقي عن ابن عمر مرفوعاً، والترمذي عن أبي هريرة (بألفاظ متقاربة).

(٢) قال ابن قتيبة في كتابه (تأويل مختلف الحديث) في كلامه على هذا الحديث: ونحن نقول أن لهذا الحديث مخرجاً حسناً أن النبي ﷺ أراده وهو أن يكون الجبار ههنا الملك قال الله تعالى: ﴿ **وما أنت عليهم بجبار** ﴾ أي بملك مسلط والجبابرة الملوك، وهذا كما يقول الناس: هو كذا كذا ذراعاً بذراع الملك يريدون: بالذراع الأكبر، وأحسبه ملكاً من ملوك العجم كان تام الذراع فنسب إليه.

الحديث الثالث عشر: روى القاضي (أبو يعلى) عن مجاهد أنه قال: إذا كان يوم القيامة يذكر داود عليه الصلاة والسلام ذنبه فيقول الله تعالى كن أمامي فيقول يا رب ذنبي ذنبي فيقول كن خلفي فيقول يا رب ذنبي فيقول له خذ بقدمي. وفي لفظ عن ابن سيرين قال أن الله تعالى ليقرب داود حتى يضع يده على فخذه.

والعجب من إثبات ذلك للحق سبحانه وتعالى بأقوال التابعين وما تصح عنهم ولو صحت فإنما يذكرون عن أهل الكتاب كما يذكر وهب بن منبه.

قال القاضي (أبو يعلى) نحمله على ظاهره لأننا لا نثبت قدماً وفخذاً هو جارحة. واعجبا لقد كملوا هيئة البدن بإثبات فخذ وساق وقدم ووجه ويدين وأصابع وخنصر وإبهام وصعود ونزول ويقولون تحمل على ظاهرها وليست جوارح. وهل يجوز لعاقل أن يثبت لله تعالى خلفاً وأماماً وفخذاً ما ينبغي أن نحدث هؤلاء لأنا قد عرفنا الفخذ فيقال ليس بفخذ والخلف ليس بخلف ومثل هؤلاء لا يحدثون فإنهم يكابرون العقول كأنهم يحدثون الأطفال.

* * *

الحديث الرابع عشر: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ ـ يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ـ وفي أفراد مسلم من حديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ أخبر عن آخر من يدخل الجنة وضحك فقيل مم تضحك فقال من ضحك رب العالمين.

إعلم أن الضحك له معان ترجع إلى معنى البيان والظهور وكل من أبدى عن أمر كان مستوراً قيل قد ضحك يقال ضحكت الأرض بالنبات إذا ظهر فيها وانفتق عن زهره كما يقال بكت السماء، قال الشاعر:

كل يوم بأقحوان جديد
تضحك الأرض من بكاء السماء

وكذلك الضحك الذي يعتري البشر إنما هو انفتاح الفم عن الأسنان وهذا يستحيل على الله سبحانه وتعالى فوجب حمله على معنى أبدى الله تعالى كرمه وفضله. ومعنى «ضحكت لضحك ربي»أبديت عن أسناني بفتح فمي لإظهار ربي كرمه وفضله. وقد روي في حديث موقوف ـ ضحك حتى بدت لهواته وأضراسه ـ ذكره الخلالي في كتاب السنة.

وقال المروزي: قلت لأبي عبدالله ما تقول في هذا

الحديث؟ قال يشفع ثم يقول على تقدير الصحة يحتمل أمرين؛ أحدهما أن يكون ذلك راجعاً إلى النبي ﷺ كأنه ضحك حين أخبر بضحك الرب جل جلاله حتى بدت لهواته وأضراسه وهذا هو الصحيح لو ثبت الحديث؛ والثاني أن يكون تجوزاً عن كثرة الكرم وسعة الرضى كما جوز بقوله «ومن أتاني يمشي أتيته هرولة».

قال القاضي (أبو يعلى) لا يمتنع الأخذ بظاهر الأحاديث وإمرارها على ظواهرها من غير تأويل. قلت واعجباً قد أثبت لله تعالى صفات بأحاديث آحاد وألفاظ لا تصح وقد أثبت الأضراس فما عنده من الإسلام خبر.

* * *

الحديث الخامس عشر: روى القاضي (أبو يعلى عن عبدالله بن عمر موقوفاً أنه قال ـ خلق الله تعالى الملائكة من نور الذراعين والصدر ـ.

وقد أثبت به القاضي ذراعين وصدراً لله عز وجل. وهذا قبيح لأنه حديث ليس بمرفوع ولا يصح، وهل يجوز أن يخلق مخلوق من ذات القديم! هذا أقبح مما ادعاه النصارى.

* * *

الحديث السادس عشر: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال - يُدْنَى المؤمن من ربه فيضع عليه كنفه فيقول تعرف ذنب كذا.

قال العلماء يدنيه من رحمته، ولطفه، قال ابن الانباري كنفه حياطته وستره، يقال: قد كنف فلان فلاناً إذا حاطه وستره وكل شيء ستر شيئاً فقد كنفه، ويقال للترس كنيف لأنه يستر صاحبه. قال القاضي (أبو يعلى) يدنيه من ذاته. وهذا قول من لم يعرف الله سبحانه وتعالى ولا يعلم أنه لا يجوز عليه الدنو الذي هو مسافة. وكذلك قوله: (إنه ليدنو يوم عرفة) أي يقرب بلطفه وعفوه.

* * *

الحديث السابع عشر: روى مسلم في إفراده من حديث معاوية بن الحكم قال: كانت لي جارية ترعى غنماً لي فانطلقت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة فصككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذاك عليَّ فقلت ألا أعتقها قال ائتني بها فقال لها: أين الله تعالى قالت في السماء قال من أنا قالت رسول الله ﷺ قال اعتقها فإنها مؤمنة.

قلت قد ثبت عند العلماء أن الله تعالى لا تحويه

السمـاء ولا الأرض ولا تضمه الأقطار وإنما عرف بإشارتها تعظيم الخالق جل جلاله عندها.

* * *

الحديث الثامن عشر: رواه أبو رزين قال قلت يا رسول أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال: «كان في عمـاء ما تحته هواء ولا فوقه ماء ثم خلق عرشه على الماء»(١).

العماء السحاب واعلم أن الفوق والتحت يرجعان إلى السحاب لا إلى الله تعالى و(في) بمعنى فوق، والمعنى: كان فوق السحاب بالتدبير والقهر. ولما كان القوم يأنسون بالمخلوقات سألوا عنها والسحاب من جملة خلقه، ولو سئل عما قبل السحاب لأخبر أن الله تعالى كان ولا شيء معه كما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال «كان الله سبحانه وتعالى ولا شيء معه» ولسنا نختلف أن الجبار تعالى لا يعلوه شيء من خلقه بحال وأنه لا يحل في الأشياء بنفسه ولا يزول عنها لأنه لو حل بها كان منها ولو زال عنها لنأى عنها.

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، وابن جرير في تهذيب الآثار والطبراني في الكبير، وأبو الشيخ في العظمة «جمع الجوامع للسيوطي».

الحديث التاسع عشر: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال. «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول من يدعوني فأستجيب له».

روى حديث النزول عشرون صحابياً وقد سبق القول أنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والنقلة والتغير فيبقى الناس رجلين: **أحدهما** المتأول بمعنى أنه يقرب برحمته، وقد ذكر أشياء بالنزول فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[1] وإن كان معدنه في الأرض، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾[2] ومن لم يعرف نزول الجمل كيف يتكلم في الجمل.

والثاني: الساكت عن الكلام في ذلك مع اعتقاد التنزية والواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة، وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام جسم عال هو مكان لساكنه وجسم سافل وجسم متنقل من علو إلى سفل وهذا لا يجوز على الله عز وجل. قال ابن حامد. هو على العرش بذاته مماس له وينزل من مكانه الذي هو فيه وينتقل. هذا

(١) الحديد: الآية ٢٥.

(٢) الزمر: الآية ٦.

رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى. وقال القاضي (أبو يعلى) النزول صفة ذاتية ولا نقول نزوله انتقال. وهذا مغالط. ومنهم من قال يتحرك إذا نزل. وما يدري أن الحركة لا تجوز على الله تعالى. وقد حكوا عن الإمام أحمد ذلك وهو كذب عليه[1] ولو كان النزول صفة ذاتية لذاته كانت صفته كل ليلة تتجدد[2] وصفاته قديمة كذاته.



---

(١) حكى ذلك أبو يعلى في طبقاته عن أحمد بطريق أبي العباس الأصطخري وهو كما قال المصنف نقل مفتري.

(٢) مما يقوله ابن حزم الظاهري في حديث النزول: هذا إنما هو فعل يفعله الله تعالى في سماء الدنيا من الفتح لقبول الدعاء وأن تلك الساعة من مظان القبول والإجابة والمغفرة للمجتهدين والمستغفرين والتائبين، وهذا معهود في اللغة نقول: نزل فلان عن حقه لي بمعنى وهبه لي وتطول به عليَّ، ومن البرهان على أنه صفة فعل لا صفة ذات أن رسول الله ﷺ علق التنزل المذكور بوقت محدود وصح أنه فعل محدث في ذلك الوقت مفعول حينئذ وقد علمنا أن ما لم يزل فليس متعلقاً بزمان البتة وقد بين رسول الله ﷺ في بعض ألفاظ الحديث المذكور ما ذلك الفعل وهو أنه ذكر عليه السلام أن الله يأمر ملكاً في ذلك الوقت بذلك، وأيضاً فإن ثلث الليل مختلف في البلاد باختلاف المطالع والمغارب يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه فصح ضرورة أنه فعل يفعله ربنا تعالى في ذلك الوقت لأهل كل أفق وأما من جعل ذلك نقلة فقد قدمنا بطلان قوله في إبطال القول بالجسم.

الحـديث العشـرون: روى البخـاري ومسلم في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي فقال إني مجهود فقال ﷺ من يضيفه هذه الليلة فقام رجل من الأنصار فقال أنا يا رسول الله فانطلق به إلى امرأته فقال هل عندك شيء قالت لا إلا قوت صبياني فقال فعلليهم بشيء إذا أراد الصبية العشاء فنوميهم فإذا دخل ضيفنا فاطفئي السراج وأريه أنا نأكل فقعدوا وأكل الضيف فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقـال: «لقد عجب الله تعـالى من صنيعكما بضيفكما الليلة».

وفي أفـراد البخاري من حـديث أبي هـريـرة عن النبي ﷺ قال «عجب الله من قوم جَرَّ بهم في السلاسل حتى يدخلهم الجنة».

قال العلماء: العجب إنما يكون من شيء يـدهم الإنسان مما لا يعلمه فيستعظمه وهو لا يليق بالخالق جل جلاله، لكن معناه: عظم قدر ذلك الشيء عند الله لأن المتعجب من الشيء يعظم قدره عنده، ومعنى السلاسل أكرهوا على الطاعة التي بها يدخلون، وقال ابن الأنباري معنى عجب ربك: زادهم إنعاماً وإحساناً فعبر في هذا الحديث بالعجب عن ذلك.

* * *

الحديث الحادي والعشرون: روى البخاري في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لله أشد فرحاً بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها».

قال المصنف: لما كان مسروراً بشيء راضياً قيل له فرح والمراد الرضى بتوبة التائب ولا يجوز أن يعتقد في الله سبحانه وتعالى التأثر الذي يوجد في المخلوقين فإن صفات الحق تعالى قديمة لا تحدث له صفة.



الحديث الثاني والعشرون: روى مسلم في أفراده من حديث أبي موسى قال قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحانه وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»(١).

قوله: (حجابة النور) ينبغي أن يعلم أن هذا الحجاب للخلق عنه لأنه لا يجوز أن يكون محجوباً لأن الحجاب

---

(١)يقول النووي في شرح صحيح مسلم: والتقدير: لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب نوراً أو ناراً وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته.

يكون أكبر مما يستره وكما أنه لا يجوز أن يكون لوجوده ابتداء ولا انتهاء لا يصح أن يكون لذاته نهاية وإنما المراد أن الخلق محجوبون عنه كما قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[1] وأما السبحات فجمع سبحة ويقال أن السبحة جلال وجهه ومنه قوله (سبحان الله) وإنما هو تعظيم له وتنزيه وقال القاضي (أبو يعلى) لا يمنع إطلاق حجاب من دون الله تعالى لا على وجه الحد والمحاذاة. وهذا كلام مختلط يرضى به العوام.

* * *

الحديث الثالث والعشرون: روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال إن أهل الجنة يرون ربهم تعالى في كل جمعة في رمال الكافور وأقربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجمعة.

قوله: (في رمال الكافور) إشارة إلى الحاضرين ثم في رمال الكافور وأقربهم منه أي أحظاهم عنده.

وفي حديث آخر: المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن. وقال بعضهم يمين العرش، وفي حديث سوق الجنة: ولا يبقى في ذلك المجلس

---

(١) المطففين: الآية ١٥.

أحد إلا حاضره الله محاضرة. ويروى خاصره بالخاء المعجمة. وهذا يرويه يوسف بن عبد الله وهو خطأ والمخاصرة المصافحة وقال القاضي (أبو يعلى): لا يمتنع أن يكون الحق تعالى في رمال الكافور. فقد أقر بالحصر، ثم قال لا على وجه الانتقال. وهذا تلاعب، ثم قال ويمتنع قربهم من الذات، وهذا يضيع معه الحديث، واستدل بقوله (ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه تعالى) وقال: الخلوة عبارة عن القرب ويجوز القرب من الذات، وقد سبق رد هذا.



الحديث الرابع والعشرون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال يا محمد إن الله يمسك يوم القيامة على أصبع والأرضين على أصبع والجبال والشجر على أصبع وفي لفظ والماء والثرى على أصبع ثم يهزهن فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[1].

قلت وظاهر ضحك النبي ﷺ الإنكار[2] واليهود مشبهة

---

(١) الأنعام: الآية ٩١.

(٢) يستبعد أن خزيمة ـ وهو ممن وقع في خطأ التشبيه ـ أن يكون=

ونزول الآية دليل عن إنكار الرسول ﷺ عليهم وفي معنى هذا الحديث قوله ﷺ: «إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء» ولما كان القلب بين إصبعين ذليلاً مقهوراً دل هذا على أن القلوب مقهورة لمقلبها. وقال القاضي (أبو يعلى): غير ممتنع حمل الخبر على ظاهره في إثبات الأصابع صفات راجعة إلى الذات لأنا لا نثبت أصابع هي جارحة ولا أبعاض. وهذا كلام مخبط لأنه إما أن يثبت جوارح، وإما أن يتأولها، وأما حملها على ظاهرها فظاهرها الجوارح، ثم يقول ليست أبعاضاً. فهذا كلام قائم قاعد ويضيع الخطاب لمن يقول هذا.

* * *

الحديث الخامس والعشرون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون..»[1] هكذا رواه مسلم وهي أتم

= ضحك الرسول ﷺ إنكاراً، وقد نقض الحافظ ابن حجر زعمه هذا في الفتح.

(١) في الذي بين أيدينا من نسخ صحيح مسلم زيادة (ثم يطوى الأرضين بشماله).

الروايات، قد ثبت بالدليل القاطع أن يد الحق سبحانه وتعالى ليست جارحة، وأن قبضته الأشياء ليست مباشرة ولا له كف وإنما قربه رسول الله ﷺ إلى الأفهام بما يدركه الحس، وأما رواية الشمال فضعيفة بالمرة، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وكلتا يديه يمين مباركة»[1] وهذا يوهن ذكر الشمال.

الحديث السادس والعشرون: رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده من حديث أنس عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ﴾[2] قال قال هكذا يعني أنه أخرج طرف الخنصر وفي لفظ فأومأ بخنصره فساخ. وروى ابن حامد ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل** ﴾ قال خرج منه أول مفصل من خنصره.

---

(١) يقول القتيبي عند الكلام على هذا الحديث: إنما أراد بذلك معنى التمام والكمال لأن كل شيء فمياسره تنقص عن ميامنه في القوة والبطش والتمام، وكانت العرب تحب التيامن وتكره التياسر لما في اليمين من التمام، وفي اليسار من النقص، ويجوز أن يريد العطاء باليدين جميعاً لأن اليمنى هي المعطية، فإذا كانت اليدان يمينين كان العطاء بهما وإلى هذا ذهب المرار حين قال:

وإن على الإوانة من عقيل
فتى كلتا اليدين له يمين

(٢) الأعراف: الآية ١٤٣.

هذا الحديث تكلم فيه علماء الحديث وقالوا لم يروه عن ثابت غير حماد بن سلمة وكان ابن العوجاء الزنديق قد أدخل على حماد أشياء فرواها في آخر عمره ولذلك تجافى بعض أصحاب الصحيح الإخراج عنه، ومخرج الحديث سهل وذلك أن النبي ﷺ كان يقربه إلى الأفهام بذكر الحسيات فوضع يده على خنصره إشارة إلى أن الله تعالى أظهر اليسير من آياته.

* * *

الحديث السابع والعشرون: روى القاضي (أبو يعلى) عن عكرمة أنه قال إذا أراد الله عز وجل أن يخوف عباده أبدى عن بعضه إلى الأرض فعند ذلك تتزلزل وإذا أراد الله أن يدمدم على قوم تجلى لهم.

قال القاضي (أبو يعلى): «أبدى عن بعضه» هو على ظاهره وهو راجع إلى الذات على وجه لا يفضي إلى التبعيض. قلت ومن يقول أبدى عن بعض ذاته وما هو بعض لا يكلم وإنما المراد أبدى عن آياته.

* * *

الحديث الثامن والعشرون: روى أبو الأخمص الجمحي عن رسول الله ﷺ قال له لعلك تأخذ موساك

فتنقطع أذن بعضها فتقول هذه نحر وتشق أذن الأخرى وتقول صرم قال نعم قال فلا تفعل فإن موس الله تعالى أحدُّ من موساك وساعد الله تعالى أشد من ساعدك.

قال القاضي (أبو يعلى): لا يمتنع حمل الخبر على ظاهره في إثباته الساعد صفة لذاته. قلت المراد بالساعد القوة لأن الإنسان في ساعده، وكان ينبغي أن يثبت الموس أيضاً.

* * *

الحديث التاسع والعشرون: روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين عيني الرحمن».

قد ذكرنا صفة العين في الآيات المذكورة قبل الأحاديث، والمراد بالحديث أن الله تعالى يشاهد المصلي فليتأدب وكذلك قوله: «فإن الله تعالى قبل وجهه» أي يراه.

* * *

الحديث الثلاثون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ

دخل عليها وعندها امرأة فقال ﷺ: من هذه قالت فلانة تذكر من صلاتها فقال ﷺ: «مه عليكم ما تطيقون فوالله لا يمل الله تعالى حتى تملوا» وفي لفظ: «لا يسأم الله تعالى حتى تسأموا».

قال العلماء معنى الحديث لا يمل الله تعالى وإن مللتم كما قال الشاعر:

صليت مني هذيل بخرق
لا يمل الشر حتى يملوا

المعنى لا يمل وإن ملوا وإلا لم يكن له فضل عليهم. وقال قوم: من مل من شيء تركه، والمعنى لا يترك الثواب ما لم يتركوا العمل، وأما الملل الذي هو كراهة الشيء والاستثقال له ونفور النفس عنه والسآمة منه فمحال في حقه تعالى لأنه يقتضي تغيره وحلول الحوادث في حقه.

* * *

الحديث الحادي والثلاثون: روت خولة بنت حكيم عن النبي ﷺ أنه قال «إن آخر وطأة وطئها الرحمن بوج».

وج واد بالطائف وهي آخر وقعة أوقعها الله تعالى بالمشركين على يد رسول الله ﷺ ومنه قوله ﷺ «اللهم

أشدد وطأتك على مضر» مأخوذ من القدم وإلى هذا ذهب ابن قتيبة وغيره. قال القاضي (أبو يعلى) غير ممتنع على أصولنا حمل هذا الخبر على ظاهره وإن ذلك معنى بالذات دون الفعل لأنا حملنا قوله ينزل ويضع قدمه في النار على الذات.

وهذا الرجل يشير بأصولهم إلى ما يوجب التجسيم والانتقال والحركة وهذا مع التشبيه بعيد عن اللغة ومعرفة التواريخ وأدلة المعقول وإنما اغتر بحديث رُوي عن كعب أنه قال: «وج مقدس منه عرج الرب إلى السماء ثم قضى خلق الأرض» وهذا لو صح عن كعب احتمل أن يكون حاكياً عن أهل الكتاب وكان يحكى عنهم كثيراً ولو قدرناه من قوله كان معناه أن ذلك المكان آخر ما استوى من الأرض لما خلقت ثم عرج الرب أي عمد إلى خلق السماء وهو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾(١). يروى عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لما أسري بي مربي جبريل عليه الصلاة والسلام حتى أتى الصخرة فقال يا محمد من هاهنا عرج ربك إلى السماء» وهذا يرويه بكر بن زياد وكان يضع الحديث على الثقات، فإن قيل قال ابن عباس رضي الله عنهما «استوى

(١) فصلت: الآية ١١.

إلى السماء» صعد قلنا صعد أمره إذ لا يجوز عليه الانتقال والتغير.



واعلم أن الناس في أخبار الصفات على ثلاث مراتب: **أحدها**: إمرارها على ما جاءت (من غير تفسير) ولا تأويل إلا أن تقع ضرورة كقوله تعالى: ﴿ **وجاء ربك** ﴾ أي جاء أمره وهذا مذهب السلف.

والمرتبة الثانية: التأويل وهو مقام خطر[١].

---

(١) يقول في شرح المشكاة: قال النووي في شرح مسلم: في هذا الحديث «حديث النزول» وشبه من أحاديث الصفات وآياتها مذهبان مشهوران: فمذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين الإيمان بحقيقتها على ما يليق به تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله سبحانه عن سائر سمات الحدوث. والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف وهو محكي عن مالك والأوزاعي إنما يتأول على ما يليق بها بحسب بواطنها فعليه الخبر مؤول بتأويلين أي المذكورين. وبكلامه وبكلام الشيخ الرباني أبي إسحاق الشيرازي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم من أئمتنا وغيرهم يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة والشخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون في السماء وغير ذلك عما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يحكم بكفرها بالإجماع فاضطر جميع =

والمرتبة الثالثة: القول فيها يمقتضى الحس وقد عم جهلة الناقلين إذ ليس لهم حظ من علوم المعقولات التي يعرف بها ما يجوز على الله تعالى وما يستحيل. فإن علم المعقولات يصرف ظواهر المنقولات عن التشبيه فإذا

= الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره وإنما اختلفوا هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته من غير أن نؤوله بشيء آخر وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهو تأويل تفصيل ولم يريدوا بذلك مخالفة السلف الصالح معاذ الله أن يظن بهم ذلك وإنما دعت الضرورة في أزمنتهم لذلك لكثرة المجسمة والجهمية وغيرهما من فرق الضلال واستيلائهم على عقول العامة فقصدوا بذلك ردعهم وبطلان قولهم ومن ثمة اعتذر كثير منهم وقالوا: لو كنا على ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم المبطلين في زمنهم لم نخض في تأويل شيء من ذلك وقد علمت أن مالكاً والأوزاعي وهما من كبار السلف أولا الحديث تأويلاً تفصيلياً وكذلك سفيان الثوري أول الاستواء على العرش بقصد أمره ونظيره ﴿**ثم استوى إلى السماء**﴾ أي قصد إليها ومنهم الإمام جعفر الصادق، بل قال جمع منهم ومن الخلف: إن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي وقال أنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني، وقد اتفق سائر الفرق على تأويل نحو ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**﴾ الآية ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ و ـ قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن ـ و ـ الحجر الأسود يمين الله في الأرض ـ وهذا الاتفاق يبين لك صحة ما اختاره المحققون إن الوقف على (الراسخون في العلم) لا =

عدموها تصرفوا في النقل بمقتضى الحس وإليه أشار القاضي (أبو يعلى) بقوله: لا يمتنع أن يحمل التي وطئها الحق تعالى على أصولنا وأنه معنى يعتلق بالذات. وأصولهم على زعمه ترجع إلى الحس، ولو فهموا أن الله تعالى لا يوصف بحركة ولا انتقال ولا تغير ما بنوا على الحسيات، والعجب أنه يقر بهذا القول ثم يقول من غير

= الجلالة. قلت الجمهور على أن الوقف على (إلا الله) وعدوا وقفه وقفاً لازماً وهو الظاهر لأن المراد بالتاويل معناه الذي أراده تعالى وهو في الحقيقة لا يعلمه إلا الله جل جلاله ولا إله غيره وكل من تكلم فيه تكلم بحسب ما ظهر له ولم يقدر أحد أن يقول إن هذا التأويل هو مراد الله جزماً ففي التحقيق الخلاف لفظي ولهذا اختار كثيرون من محققي المتأخرين عدم تعيين التأويل في شيء معين من الأشياء التي تليق باللفظ ويكون تعيين المراد بها إلى عمله تعالى وهذا توسط بين المذهبين وتلذذ بين المشربين. واختار ابن دقيق العيد توسطاً آخر فقال: إن كان التأويل من المجاز البين الشائع فالحق سلوكه من غير توقف أو من المجاز البعيد الشاذ فالحق تركه وإن استوى الأمران فالاختلاف في جوازه وعدمه مسألة فقهية اجتهادية والأمر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين. قلت التوقف فيها لعدم ترجيح أحد الجانبين مع أن التوقف مؤيد بقول السلف ومنهم الإمام الأعظم اهـ. ويقول في شرح المشكاة أيضاً: والحاصل أن السلف والخلف مؤولون لإجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره ولكن تأويل السلف إجمالي لتفويضهم إل الله تعالى وتأويل الخلف تفصيلي لاضطرارهم إليه لكثرة المبتدعين اهـ.

نقلة ولا حركة فينقض ما بنى. ومن أعجب ما رأيت لهم ما ذكروا عن ابن أبي شيبة أنه قال في كتاب العرش: إن الله تعالى قد أخبرنا أنه صار من الأرض إلى السماء ومن السماء إلى العرش فاستوى على العرش. قلت ونحن نحمد الله إذ لم يبخس حظنا من المنقولات ولا من المعقولات ونبرأ من أقوام شانوا مذهبنا فعابنا الناس بكلامهم.

* * *

الحديث الثاني والثلاثون: روى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: «ما تقرب العباد إلى الله تعالى بمثل ما خرج منه»[1] وهو القرآن. وفي حديث عفان أن النبي ﷺ قال: «فضيلة القرآن على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه أن القرآن منه خرج وإليه يعود». والمعنى وصل إلينا من عنده وإليه يعود فيرفع.

* * *

الحديث الثالث والثلاثون: روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن

---

(١) الذي في الجامع الكبير للسيوطي: «ما تقرب العباد إلى الله بشيء أحب إليه مما خرج منه» ابن السني عن زيد بن أرطاة عن أبي أمامة.

يخلق آدم بألف سنة فلما سمعت الملائكة قالوا طوبى لأمة ينزل عليهم وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسن تتكلم به.

وهذا حديث موضوع يرويه إبراهيم بن المهاجر عن عمر بن حفص وأما عمر بن حفص فقال الإمام أحمد ابن حنبل: حرقت أحاديثه، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء وقال أبو حاتم بن حبان الحافظ: هذا متن موضوع.

* * *

الحديث الرابع والثلاثون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك»[1] وفي لفظ أخرجه البخاري أن النبي ﷺ قال: «إن الرحم شجنة من الرحمن».

---

(١) في شرح صحيح مسلم للإمام النووي: قال القاضي عياض: الرحم التي توصل وتقطع وتبر إنما هي معنى من المعاني ليست بجسم وإنما هي قرابة ونسب تجمعه رحم والدة ويتصل بعضه =

قال أبو عبيد الشجنة كـالغصن من الشجرة ومعنى شجنة أي قرابة مشتبكة كاشتباك العروق والشجر تشجن إذا التف بعضها ببعض.

قلت لا يخلو هذا الحديث من أحد أمرين إما أن يراد أن الله تعالى يراعي الرحم فيصل من يصلها ويقطع من قطعها ويأخذ لها حقها كما يراعي القريب قرابته كأنه يزيد في المراعاة على الأجانب أو أن يراد أن الرحم حروف الرحمن فكأنه عظم قدرها بهذا الاسم ويؤكد هذا حديث عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» وقد ورد هذا الحديث بلفظ لم يخرج في الصحاح «الرحم شجنة من الرحمن تعلق بحقوق الـرحمن تقول اللهم صـل مـن وصلني واقطع من قطعني» وفي لفظ «الرحم شجنة آخذة بـحقـو الرحمن» وفي لفظ «لما خلق الله تعالى الخلق قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقالت هذا مقـام

= ببعض فسمى ذلك الاتصال رحماً، والمعنى لا يتأتى منه القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك، والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصليها وعظيم ثم قاطعيها بعقوقهم.

العائذ بك من القطيعة». وهذه كلها أمثال ترجع إلى ما بينا، ومعنى تعلقها بحقو الرحمن الاستجارة والاعتصام(١).

قال أبو بكر البيهقي: الحقو الإزار والمعنى تتعلق بعزه. قال ابن حامد يجب التصديق بأن لله حقواً فتأخذ الرحم بحقوه، قال وكذلك نؤمن بأن لله تعالى جنباً لقوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ ﴾(٢). وهذا لا فهم له أصلاً، كيف يقع التفريط في جنب الذات نعوذ بالله من سوء الفهم.

* * *

الحديث الخامس والثلاثون: روى البخاري في صحيحه(٣) أن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما عذبته».

قال أبو سليمان الخطابي: وفي الكلام أن الكبرياء

---

(١) قال في النهاية: والحقو فيه مجاز وتمثيل ومنه قولهم: عُذْتُ بحقو فلان إذا استجرت به واعتصمت اهـ. وفي أساس البلاغة: لاذ بحقويه إذا فزع إليه.

(٢) الزمر: الآية ٥٦.

(٣) يقول العجلوني في كشف الخفا ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: رواه مسلم وابن حبان وأبو داود وابن ماجة عن أبي هريرة والحاكم (بألفاظ متقاربة)، وممن أخرجه بلفظ الترجمة القضاعي عن أبي هريرة والحكيم الترمذي عن أنس اهـ. ولم يذكر البخاري.

والعظمة صفتان لله تعالى اختص فيهما لا يشركه فيهما أحد ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل وضرب الإزار والرداء مثلاً، يقول والله تعالى أعلم: كما لا يشرك الإنسان في ردائه وإزاره أحد كذلك لا يشركه في الكبرياء والعظمة مخلوق.

* * *

الحديث السادس والثلاثون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ «أنا عند ظن عبدي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

فذهب القاضي (أبو يعلى) إلى أن لله تعالى نفساً هي صفة زائدة عن الذات. وهذا قول مبتدع ينوع به التشبيه لا يفرق بين الذات والنفس. وما المانع أن يكون المعنى: ذكرته أنا، وقد سبق هذا في الكلام على الآيات. والتقريب والهرولة توسع في الكلام[1] كقوله

---

(١) في تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة عند الكلام على التقرب والهرولة: ونحن نقول: إن هذا تمثيل وتشبيه وإنما أراد: من أتاني مسرعاً بالطاعة أتيته بالثواب أسرع من إتيانه.

تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾[1] لا يراد به المشي.

* * *

الحديث السابع والثلاثون: روى أبو سعيد عن النبي ﷺ أنه قال إن الله تعالى جميل يحب الجمال[2].

قال العلماء: الجميل المجمل بتحسين الصور والأخلاق والإحسان؛ والذي أراه أن الجميل الذي أوصافه تامة مستحسنة. وقد فسر القاضي (أبو يعلى) بما لا يليق بالحق سبحانه وتعالى فقال: غير ممتنع وصفه بالجمال فإن ذلك راجع إلى الذات لأن الجمال في معنى الحسن قال وقد تقدم قوله ﷺ «رأيت ربي في أحسن صورة».

* * *

الحديث الثامن والثلاثون: روى القاضي (أبو يعلى) عن عمر بن عبد العزيز قال: إذا فرغ الله تعالى من أهل الجنة والنار أقبل يمشي في ظلل من الغمام والملائكة فيقف على أول درجة فيسلم عليهم فيردون عليه السلام

---

(١) الحج: الآية ٥١.

(٢) أثبت العجلوني في كشف الخفا ومزيل الألباس هذا الحديث وقال: رواه أحمد عن أبي ريحانة، ومسلم والترمذي عن ابن مسعود، وأبو يعلى والبيهقي عن أبي سعيد، والطبراني عن أبي أمامة وابن عمر وجابر، وابن عدي في الكامل عن ابن عمر.

فيقول سلوني فيقولون ماذا نسأل وعزتك وجلالك وارتفاعك في علو مكانك لو أنك قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم وسقيناهم ولم ينقص ما عندنا فيقول تعالى: بلى سلوني فيقولون نسألك رضاك. قال تعالى رضائي أحلكم دار كرامتي. فيفعل هذا بأهل كل درجة حتى ينتهي إلى مجلسه.

هذا حديث مكذوب به على عمر. وبعد فكيف يثبت لله تعالى صفة بقول عمر!. قال القاضي (أبو يعلى) يشهد لحديث عمر قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾[1]. ولم يدر أن المعنى يأتيهم الله بظلل من الغمام.

* * *

الحديث التاسع والثلاثون: رُوي عن عائشة رضي الله عنها قالت سئل رسول الله ﷺ عن المقام المحمود قال ﷺ «وعدني ربي عز وجل بالقعود على العرش».

هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ. قال ابن حامد: يجب الإيمان بما ورد به من المماسة والقرب من الحق تعالى لنبيه ﷺ في إقعاده على العرش. قال وقال

(١) البقرة: الآية ٢١٠.

ابن عمر (وأن له عندنا لزلفى) قال ذكر الدنو منه حتى يمس بعضه. وهذا كذب على ابن عمر، ومن ذكر تبعيض الذات كفر بالإجماع.

* * *

الحديث الأربعون: روى الدارقطني من حديث أبي إسحق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضي الله تعالى عنه أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة فعظم الرب عز وجل فقال ﷺ إن كرسيه وسع السموات والأرض وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد إذا ركب من ثقله.

هذا حديث مختلف جداً وقد رواه أبو إسحق عن ابن خليفة عن ابن عمر قال: إذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سمع له أطيط كأطيط الرحل. روى ابن جرير أن عبد الله بن خليفة قال: قال رسول الله ﷺ إن كرسيه وسع السموات والأرض وأنه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع ثم قال بأصبعه فجمعها وإن له لأطيطاً كأطيط الرحل إذا ركب من ثقله. هذا على ضد اللفظ الأول وكل ذلك من تخليط الرواة وسوء الحفظ. والأليق فما يفضل منه مقدار أربع أصابع.

والمعنى أنه قد ملأه بهيبته. وعظمته ويكون هذا

ضرب مثل لقدر عظمة الخالق جل جلاله. وقول الرواة: (إذا قعد) و(إذا جلس) من تغييرهم ومن تعبيرهم بما يظنونه كما قال القائل (ثم استوى على العرش) قعد. وإنما قلنا هذا لأن الخالق تعالى لا يجوز أن يوصف بالجلوس فيفضل ذلك الشيء لأن هذه صفة الأجسام.

* * *

الحديث الحادي والأربعون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت: إن الله تعالى يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار».

إنفرد بلفظ الصوت حفص بن غياث وخالفه وكيع وجرير وغيرهما فلم يذكروا الصوت. وسئل الإمام أحمد عن حفص قال: كان يخلط في حديثه. وفي الحديث الصحيح: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء كجر السلسلة على الصفا». وفي حديث ابن مسعود: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا» وليس في الصحيح «سمع صوته أهل السماء».

* * *

الحديث الثاني والأربعون: روى جابر عن النبي ﷺ أنه لما كلم الله موسى يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه به يوم ناداه فقال له يا موسى إني كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الألسنة كلها وأنا أقوى من ذلك فلما رجع إلى بني إسرائيل قالوا صف لنا كلام الرحمن قال لا أستطيع، قالوا قربه لنا. قال ألم تروا صوت الصواعق التي تقبل بأحلى كلام سمعتموه.

هذا حديث لا يصح، يرويه علي بن عاصم عن الفضل بن عيسى، قال النسائي: علي بن عاصم متروك الحديث، وقال يزيد بن هرون: ما زلنا نعرفه بالكذب.

* * *

الحديث الثالث والأربعون: روى القاضي (أبو يعلى) عن حسان بن عطية أنه قال: الساجد يسجد على قدم الرحمن. هذا قول تابعي وهو مثل للقرب من فضل الله تعالى. أثبت القاضي (أبو يعلى) بهذا وصف قدم وأنه يسجد على قدمه حقيقة لا على وجه المماسة.

* * *

الحديث الرابع والأربعون: روى البخاري ومسلم في

الصحيحين من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

الرائي في جنة عدن لا المرئي لأنه لا تحيط به الأمكنة. وقال القاضي (أبو يعلى): ظاهر الحديث أن المرئي في جنة عدن. وهذا التجسيم المحض. ورداء الكبرياء ما له من الكبرياء والعظمة وكأنه إن منعهم فلعظمته وإن شاء كشف لهم؛ وقد تكلمنا على الوجه في الآيات وقلنا المراد هو.

* * *

الحديث الخامس والأربعون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتابه فهو عنده[1] فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي» وفي لفظ (سبقت).

---

(١) يقول العلامة العيني في شرح صحيح البخاري: والعندية ليست مكانية بل هو إشارة إلى كمال كونه مكنوناً عن الخلق مرفوعاً عن حيز إدراكهم.

قال القاضي (أبو يعلى) ظاهر قوله (عنده) القرب من الذات. واعلم أن القرب من الحق تعالى لا يكون بمسافة إنما ذلك من صفة الأجسام وقد قال تعالى: ﴿**مسومة عند ربك**﴾.

* * *

الحديث السادس والأربعون: رُوي عن بعض التابعين أنه قال: خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده.

هذا لا يثبت عن قائله، وقد تكلمنا على قوله تعالى: ﴿**لما خلقت بيدي**﴾.

* * *

الحديث السابع والأربعون: روى ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[1] أنه قال: كرسيه موضع قدمه والعرش لا يقدر قدره.

رواه جماعة من الأثبات فوقفوه على ابن عباس ورفعه منهم شجاع بن مخلد[2] فعلم بمخالفته الكبار المتقنين

---

(١) البقرة ـ الآية ٢٥٥.

(٢) يقول الحافظ ابن حجر في (تقريب التهذيب): شجاع بن مخلد =

أنه قد غلط. ومعنى الحديث أن الكرسي صغير بالإضافة إلى العرش كمقدار كرسي يكون عند سرير قد وضع لقدمي القاعد على السرير، قال الضحاك: الكرسي: الذي تجعل عليه الملوك أقدامهم، وقال القاضي (أبو يعلى): القدم قدم الذات وهي التي يضعها في النار.

* * *

الحديث الثامن والأربعون: حديث العباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض والله تعالى فوق ذلك.

هذا الحديث لا يصح تفرد به يحيى بن العلاء، قال الإمام أحمد هو كذاب يضع الحديث. وقد تكلمنا في الفوق في قوله تعالى: ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾ قال القاضي (أبو يعلى): المراد من الفوقية استواء الذات على العرش، وهذا الكلام أصله التجسيم.

* * *

= الفلاس أبو الفضل البغوي نزيل بغداد صدوق وهم في حديث واحد رفعه وهو موقوف فذكره بسببه العقيلي في الضعفاء.

الحديث التاسع والأربعون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل» وفي لفظ أخرجه مسلم «فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل».

قال العلماء: هذا خطاب للناس بما يعلمونه ويفهمونه من الأخذ والتربية والنمو ولما كان التناول باليد والقبض بالكف خاطبهم بما يعقلون، وإنما جرى ذكر اليمين لأنها مرصدة لما عز من الأمور، ومعنى التربية المضاعفة.



الحديث الخمسون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه ذكر الدجال فقال: «ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور»(١):

(١) لفظ الحديث في صحيح البخاري «إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى» وقد قال الحافظ ابن حجر إن الإشارة إلى عينه ﷺ إنما هي بالنسبة إلى عين الدجال فإنها كانت صحيحة مثل هذه ثم طرأ عليها العور لزيادة كذبه في =

قال العلماء: إنما أراد تحقيق وصفه بأنه لا يجوز عليه النقص ولم يرد إثبات جارحة لأنه لا مدح في إثبات جارحة بل كأنه قال ألا إن ربكم ليس بذي جوارح يتسلط عليها النقائص. وهذا مثل نفي الولد عنه لأنه يستحيل عليه التجزي. ولو كان الإشارة إلى صورة كاملة لم يكن في ذلك دليل على الإلهية ولا القدم فإن الكامل في الصورة كثير.



= دعوى الإلهية وهو أنه كان صحيح العين مثل هذه فطرأ عليها النقص ولم يستطع دفع ذلك عن نفسه اهـ.

وقال الفخر الرازي في (أساس التقديس) عند الكلام على هذا الحديث: وأما هذا الخبر فمشكل لأن ظاهره يقتضي أن النبي ﷺ أظهر الفرق بين الإله تعالى وبين الدجال بكون الدجال أعور وكون الله تعالى ليس بأعور وذلك بعيد، وخبر الواحد إذا بلغ هذه الدرجة في ضعف المعنى وجب أن يعتقد أن الكلام كان مسبوقاً بمقدمة لو ذكرت لزال هذا الإشكال أليس راوي هذا الحديث هو ابن عمر ثم إن المشهور أن ابن عمر لما روى حديث «إن الميت ليعذب ببكاء أهله» طعنت عائشة رضي الله عنها فيه وذكرت أن هذا الكلام من الرسول كان مسبوقاً بكلام آخر واحتجت على ذلك بقوله تعالى: ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ لو حكى لزال هذا الإشكال، فكذا ها هنا إنه من البعيد صدور مثل هذا الكلام من الرسول اهـ.

الحديث الحادي والخمسون: روى البخاري في أفراده من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ إن الله تعالى قال: «ما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته».

قوله كنت سمعه وبصره مثل. وله أربعة أوجه: (أحدها) كنت كسمعه وبصره فهو يحب طاعتي كما يحب هذه الجوارح، (الثاني) إن كليته مشغولة بي فلا يصغي إلى غير ما يرضيني ولا يبصر إلا عن أمري، (الثالث) أني أحصل له مقاصده كما ينالها بسمعه وبصره ويده اللواتي تعينه، وأما التردد فخطاب لنا بما نعقل.



الحديث الثاني والخمسون: روى جبير بن مطعم قال أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال يا رسول الله جهدت الأنفس وجاع العيال وتهتكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا فأستشفع بالله عليك فقال رسول الله ﷺ ويحك تدري ما تقول وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجهه أصحابه ثم قال ﷺ إنه لا

يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك ويحك أتدري ما الله إن عرشه على سمواته هكذا. وقال بأصابعه مثل القبة وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب.

ومعنى قوله أتدري ما الله أي أتدري ما عظمة الله تعالى وجلاله ومعنى يئط به أي يعجز عن عظمته وجلاله إذ كان معلوماً أن أطيط الرحل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله فقرب بهذا النوع من عنده معنى عظمة الله وجلاله ليعلم أن الموصوف بعلو الشأن لا يجعل شفيعاً إلى من هو دونه في القدر، وقد ذكرنا فيما تقدم عن القاضي (أبي يعلى): يئط من ثقل الذات. وهذا صريح التجسيم.

* * *

الحديث الثالث والخمسون: روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قرأ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾(١) فوضع إصبع الدعاء وإبهامه على عينيه وأذنه.

قال العلماء: أراد بهذا تحقيق السمع والبصر منه فأشار إلى الجارحتين اللتين هما السمع والبصر لا أن لله سبحانه وتعالى جارحة.

* * *

(١) النساء: الآية ٥٨.

الحديث الرابع والخمسون: روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله عز وجل ينزل في ثلاث ساعات بقين من الليل فيفتح الذكر في الساعة الأولى فيمحو ما يشاء فيثبت ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن وهي داره التي لم يسكنها غيره وهي مسكنه ثم يقول طوبى لمن دخلك ثم ينزل في الثالثة إلى سماء الدنيا بروحه وملائكته فيقول بعزتي.

هذا الحديث يرويه زيادة بن محمد الأنصاري. قال البخاري: وهو منكر الحديث. وقال أبو حاتم بن حبان: يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك، ونقول على تقدير الصحة إنها مضافة إليه كما أضيف البيت إليه فهذا بيته وذاك مسكنه، وإنما قلت هذا لأن السكنى مستحيلة في حقه سبحانه وتعالى.

* * *

الحديث الخامس والخمسون: روى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثياته عز وجل».

الحثية ملء الكف، والمراد التقريب بما نعقل لا حقيقة الحثية.

* * *

الحديث السادس والخمسون: روى أبو أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن الله يجلس يوم القيامة على القنطرة بين الجنة والنار.

يرويه عثمان بن أبي عاتكة. وعن يحيى: ليس بشيء.

* * *

الحديث السابع والخمسون: روى القاضي (أبو يعلى) عن محمد بن كعب قال كان الناس إذا سمعوا القرآن من فيي الرحمن لم يسمعوه قط.

قال القاضي (أبو يعلى): ولا يمتنع أن يطلق الفم عليه. قلت واعجبا يعني فيي الرحمن فمه فيثبت لله تعالى صفة بقول تابعي لا تصح الرواية عنه، هذا من أقبح الأشياء. فأما الحديث الذي قد سبق عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال ما تقرب العباد إلَيَّ بمثل ما خرج مني. فالمعنى: ظهر عنه ولا يجوز أن يظن أنه كخروج جسم من جسم.

* * *

الحديث الثامن والخمسون: روينا عن سهل بن سعيد عن رسول الله ﷺ: دون الله تعالى سبعون ألف حجاب

من نور ظلمة وما من نفس تسمع شيئاً من حسن تلك الحجب إلا زهقت.

هذا حديث لا أصل له.

* * *

الحديث التاسع والخمسون: رواه أنس أن النبي ﷺ قال إن لله تعالى لوحاً أحد وجهيه درة والآخر ياقوتة قلمه النور فيه يخلق وبه يرزق وبه يحيي وبه يميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء في يوم وليلة.

هذا حديث موضوع يرويه محمد بن عثمان وهو متروك الحديث.

* * *

الحديث الستون: روى جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الريح فلا تسبوها فإنها من نفس الرحمن تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فاسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها».

النفس بمعنى التنفيس عن المكروب(١) ومثله ما روى

---

(١) يقول الزمخشري في أساس البلاغة: ومالي نفس أي فرج. وقال ابن قتيبة: وقد فرج الله عن نبيه ﷺ بالريح يوم الأحزاب، قال تعالى: ﴿ **فأرسلنا عليهم ريحاً وجنودا لم تروها** ﴾.

أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني لأجد نفس ربكم من جهة اليمن» يعني تنفيسه عن الكرب بنصرة أهل المدينة إياي، والمدينة من جانب اليمن وهذا شيء لا يختلف فيه المسلمون. وقال ابن حامد رأيت بعض أصحابنا يثبتون لله تعالى وصفاً في ذاته بأنه يتنفس قال وقالوا الرياح الهابة مثل العاصف والعقيم والجنوب والشمال والصبا والدبور مخلوقة إلا ريحاً من صفاته هي ذات نسيم خيالي وهي من نفس الرحمن. قلت على من يعتقد هذا اللعنة لأنه يثبت جسداً مخلوقاً، ما هؤلاء بمسلمين.



قال المصنف: ولما علم بكتابي هذا جماعة من الجهال لم يعجبهم لأنهم ألفوا كلام رؤسائهم المجسمة فقالوا ليس هذا المذهب. قلت ليس مذهبكم ولا مذهب من قلدتم من أشياخكم فقد نزهت مذهب الإمام أحمد ونفيت عنه كذب المنقولات وهذيان المقولات غير مقلد فيما أعتقده. وكيف أترك بهرجاً وأنا أنقده وقلت:

سبقت بحمد الله من كان من قبلي
فقل للذي يرجو لحاقي على مهل

وإنكم لـو تنقصـون عتـابكم
لعزعلى التفتيش أن تجدوا مثلي

ثم قصيدة مطولة وهي :

حمدت إلهي كيف لا وله الفضل
كما قد تولاني فذلت لي السبل
وأخرجني من بين أهلي مفهما
وعلمني علماً به قيمتي تغلو
وحركني للمكرمـات أحوزهـا
فهمة نفسي دائماً أبـداً تعلو
وألهمني بـالعلم حتى ملكتـه
فصار مرير الصبر عند فمي يحلو
وقد زاد عشقي للعلوم فأصبحت
كتمثال ليلى عند قيس فما يسلو
فما من علوم بثها الله في الورى
إلى خلقه إلا ولي معها وصل
وصنفت ما قد صنف الناس جنسه
فياقاصدي الإنصاف لي ميزوا وأبلوا
ولي من بديهات الكلام عجائب
تكر عليهم كلما طولت تحلو

وقد قادني علمي إلى الزهد في الدنا
وما جمعا إلا لعبد له فضل
نعم وتقـاة الله أشـرف خلة
ولا خير في قول إذا ضيع الفعل
قنوعي بما يكفي يقيني من الأذى
وبعد يقيني بالمقـادير لا ذل
وأحسن من علم ترامى بأهله
إلى مين مخلوق يماثله الجهل
وأسكن قلبي حب كل محقق
عشقت كما قد تعشق الأعين النجل
وبغداد دار ليس يغبن أهلها
وما حبهم إلا لمن ما له شكل
وكل البلاد أشحنتها فضائلي
أقر بفضلي الدين والحزن والسهل
وذكرى وراء النهر بالفضل وافر
وفي المغرب الأقصى وما بلغت إبل
ولما نظرت في المذاهب كلها
طلبت الأسد في الصواب وما أغلو
فألفيت عند السبر قول ابن حنبل
يزيد على كل المذاهب بل يعلو

وكـل الذي قـد قالـه فمشيد
بنقل صحيح والحديث هو الأصل
وكان بنقل العلم أعرف من روى
يقوم بأنباء وإن شانـه عضل
ومـذهبـه أن لا يشبـه ربـه
ويتبع في التسليم من قد مضى قبل
فقام له الحساد من كل جانب
فقام على رجل الثبات وهم زلوا
وكان له أتباع صدق تتـابعوا
فكم أرشدوا نحو الهدى ولكم دلوا
وجـاءك قوم يـدعون تمـذهباً
بمذهبه ما كل فرع له أصل
فلا في الفروع يثبتون لنصره
وعندهم عن فهم ما قاله شغل
إذا ناظروا قاموا مقام مقاتـل
فـواعجبا والقـوم كلهم عـزل
قياسهم طرداً إذا صـدروا به
وهم من علوم النقل أجمعها عطل
إذا لم يكن في النقل صاحب فطنة
تشابهت الحيات وانقطع الحبل

ومالوا إلى التشبيه أخذاً بصورة الـ
لذي نقلوه في الصفات وهم غفل
وقالوا الذي قلناه مذهب أحمد
فمال إلى تصديقهم من به جهل
وصـار الأعادي قـائلين لكلنا
مشبهة قد ضرنا الصحب والخل
فقد فضحوا ذاك الإمام بجهلهم
ومذهبه التنزيه لكن هم اختلوا
لعمري لقد أدركت منهم مشايخاً
وأكثـر مـا أدركته مـا له عقـل
وما زلت أجلو عنهم كل خلة
من الإعتقاد الرذل كي يجمع الشمل
تسموا بألقاب ولا علم عندهم
فوائدهم لا حرم فيها ولا حل
موائدهم لا يلحق الخل بقلها
وإن شئت لا خل عليها ولا بقل
وأكثر حساد لنا أهل مـذهبي
فلو قدروا أفتوا بأن دمي حل
تمنوا بجهل أن تزل بي النعل
ولم تمش في مجد بمثلي لهم رجل

ومنذ مضى شيخ الجماعة أحمد
إلى الآن لم يوجد لعالمكم مثل
لقد بات عندي ألف ألف يقوموا
سحابة وعظي كلهم صيب وبل
وروضات علمي كلها تمرح الجنى
وبستانهم إذ ما تأملته أثل
وكيف ترى تبرى الحسود وداؤه
إذا سئل الطب الخبير به يسلو
تفرد بالبغض القبيح مخالف
أليس اجتماع الناس لي شاهد عدل

تم كتاب (دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه) للامام ابن الجوزى. ولله الحمد.

* * *

جاء في آخر (مجلس في نفي التشبيه من أمالي الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الشافعي): أنشدنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن منصور المؤمل لنفسه:

الله أكبر أن يكون لذاته
كيفية كذوات مخلوقاته

أو أن تقاس صفاتنا في كلما
نبـديـه من أفعـالنـا بصفـاتـه
تبـاً لـذي سفـه يقـول بـأنـه
جسم وإن سمـاتنـا كسمـاتـه
لبـديع صنعتـه عليه شـواهـد
تبدو على صفحات مصنوعاته
ذرأ الأنـام بـقـدرة أزلـيـة
وإرادة فـيهـم لتـقـديـراتـه
ورأى بعين العلم ما تأتي به
لمحات أعينهم وما لم تـأته

* * *

الفهـرس